الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري – قسنطينـــــة

كلـــية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

عنوان المذكرة

قراءة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الدار الكبيرة لمحمد ديب نموذجا

إعداد الطالبة:

مريحة مجذوب: نوال أبوساري

إشراف الأستاذ:

شعبة:

الأدب العربي

تخصص:

الآداب الأجنبية والأدب المقارن

ماي 2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري- قسنطينـــــة

كليـــة الآداب واللغات قسم اللغـة العربية وآدابها

عنوان المذكرة

قراءة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

-الدار الكبيرة لمحمد ديب نموذجا-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالبة:

مريـــم مجذوب د: نوّال أبوساري

إشراف الأستاذ:

شعبـــة:

الأدب العربي

تخصص:

الآداب الأجنبية والأدب المقارن

ماي 2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة منتوري– قسنطينـــــة

كليـــــة الآداب واللغات قسم اللغـــة العربية وآدابها

عنـــوان المذكرة

قراءة في الرواية الجزائرية المكـــتوبـــة بالفرنسية

– الدار الكبيرة لمحمـــد ديب – نموذجـــا

مذكرة مـــعـــدة استكمـــالا لمتطلبـــات نيل شهـــادة الماستـــر

إعداد الطالبة:
مديـــحـــة مجذوب

إشراف الأستاذ:
د: نوّاف أبوساري

شعبـــــة:
اللغة العربي

تخصـــص:
الآداب الأجنبية والأدب المقارن

مـــاي 2011

شكر

أول الشكر شكر الله تعالى على إنعامه علي لإتمام هذا العمل المتواضع .

كما أتقدم بالشكر والتقدير والامتنان إلى كل من تفضل ومد يد العون لإخراج هذا البحث إلى النور .

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي المشرف (نواف أبو ساري) الذي كان السند القوي في إخراج هذا البحث إلى النور وإرشادي بنصائحه وتذليل ما صادفني من عقبات بتوجيهاته وآرائه فلم يبخل علي بوقته وعلمه وفكره لأخطو نحو الأفضل .

كما أتقدم بالشكر الجزيل وخالص الامتنان إلى أسرة اليمامة خاصة الأستاذ عيكوس الأخضر ، الأستاذين قريبعومغزيلي ،و أساتذة معهد اللغة والأدب العربي وكل من أمدني ولو بكلمة واحدة .

كما لا أنسى صاحب الأنامل الذ مبية التي خطت مذه المذكرة " عماد "

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين
إلى والديا الكريمين ، عرفانا بالجميل ، وطمعا في الرضا ، وحبا حتى الثمالة ، ونظير شوق وانتظار طويل وأملا في أن يروني يوما على مدارج الناجحين متبوئة مكانة العلم وحاملة مشعل المعرفة الذي حرما منه .
إلى من يلين القلب ويذوب لذكر اسمها ، إلى السراج الذي ما فتئ ينير دربي ، إلى التي يكرمني الله لأجلها ، إلى قرة عيني ، وشغف قلبي إلى رمز الحنان ومنهل الأمان إلى أكبر معنى وراء قلة من الحروف إليك " أمـــــي "
إلى فؤاد قلبي الذي تعهدني طفلة واحتماني شابة ومازال عاكنا يرعى مطالبي إلى السند الحق إليك " أبـــــي "
إلى التي أغرقتني بجميل فضلها طيلة الحياة الجامعية أختي وداد
إلى من شجعنني على المضي قدما وكن مثلي الأعلى أخواتي :
نجلاء ، أمال ، نجاة ، ماجدة وعليمة ، إلى وجع الغياب أختي – نوال–
إلى اللذان أفرح عندما أرى نورهما يضيء البيت محمد وحمادة
إلى أخي العزيز بلال .
إلى إخوتي الذين لم تلدهم أمي : سليم ، عصام ، أرزقي .
إلى أخي الصغير : أكرم وائل (مسعود)
إلى أحبائي أمجد نافع ، أشرف سيف ، ريم ، شذى ، مأمون ، معتز ، وإلى السوسنة " أريج"
إلى التي أشكرها الشكر الجزيل حياة
إلى من ربطتني بهم أسرة الصداقة وكانوا رفاق الأمس ،اليوم والغد : عبلة ، ابتسام فوزية ، لطيفة صفية ، أمينة ، فاطمة ، مريم ، حليمة ، صليحة .
إلى رفيقاتي في الغرفة B46 ، مريم ، أسماء ، ابتسام .
إلى أسرة الحي الجامعي عائشة أم المؤمنين .
إلى أساتذة معهد اللغة والأدب العربي .
إلى كل الذين احتواهم قلبي ولم يذكرهم قلمي أهدي عملي هذا .

*مديحـــــة *

المقدمـــــــة :

لأن الرواية هي محور العلاقة بين الذات والعالم ، وبين الحلم والواقع ولأنها هي فن التخيل الذي يثري الحياة بمعانيها و توهجاتها ، ودفقات مشاعرها و أنفاسها الحارة ، والخطاب الذي يحمل من التأويلات ما يجعل عفل الانسان في ثورة مستمرة على كل مظاهر التخلف والتسلط والهيمنة ، ولأنها ايضا هي الخطاب الاجتماعي والسياسي الايديولوجي المتوجه دائما ناحية حشد من الأسئلة التي تأخذ من الانسان والطبيعة والتاريخ محاور موضوعاتها لتعيد إليهم رؤى و وعي وبنى جديدة تضيء وتوهج الواقع وتضع له أطرا تحدد به طريق الخلاص وحدود العالم فقد كان لزاما أن تتجه الأنظار إلى الابداع الروائي من خلال صور التحول التي طرأت على جماليات النص وعلاقته بالواقع والخيال ، وقد استطاعت الرواية أن تحقق الكثير من توجهاتها وأن تحتوي البعد الانساني بكل قضاياه من خلال المردود الطيب من أقلام الروائيين ، ومن ثمة فقد بدأت الساحة تستجيب لرسالة الحكواتي ، وتعتبره لسان حالها بعد أن كان الشاعر سيد الموقف لسنين طويلة وأصبحت الرواية هي ديوان الأدب الجديد بفضل المكانة التي حققها التجريب والتطور الدائم والمستمر في هذا المجال .

إذ أن الفعل الحكائي الذي يمارسه الحكواتي يشمل الحياة بنبضاتها ومردودها ومرجعيتها ولغتها اليومية المحكمة والمروية ، وكلما تضاعفت رعشة الحياة وارتفعت نبرة الحوار والجدل الذي تفرضه عيشة الحياة وحسها الفوضوي المستمر تحولت الرواية إلى تعبير حياتي متجدد ومتطور ، وعلى هذا تمكنت الرواية من سحب نفسها من دائرة الجمود والانطلاق إلى فضاء رحب متحرك ، ولم يعد النص الروائي يتضمن مادة جامدة بحثت في وقت ما وكفى أي عكس أجناس أخرى كالفعل الشعري والفعل الفلسفي اللذان يجددان أنشطتهما في الشعر والفلسفة فقط واللذان ينحصران داخل مفهوم خاص وثوابت جامدة لا تتحرك ، بل أصبح حالة من التفاعل النشط المتعدد الرؤى والتأويل والدلالة وأصبحت المهمة الملقاة على عاتق الروائي هو أنه جعلنا ننخرط في عالمه التلقائي الذي يصنعه لنا ، وأن نعايش ما هو مرصود داخل فعله الحكائي وما هو متصل بشخوصه و مواقفه وأحداثه .

وتعد الرواية من أبرز التعبيرات الفنية التي تعبر عن نضج الاحساس بالشخصية القومية وإحدى الأشكال الأدبية التي تصور انطباعات الكفاح والمعاناة بشكل يسجل هذه الشخصية ويبلورها ويحدد ملامحها ويبين سماتها ويخرجها إلى بؤرة الضوء حيث تثري الحياة وتدعمها وتؤكد قيمتها ، وتبني فيها لبنات الأمل وخطوات المستقبل.

وهذا ما نجده في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية فالأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر المستعمرة هي التي تفسر وتبرر لجوء الكتاب الجزائريين إلى اللغة الفرنسية كأداة للتعبير في كتاباتهم ، حيث يتناولون في كتاباتهم قضايا الشعب الجزائري المختلفة فهؤلاء الكتاب لم يقدموا ادبا له طابع المستعمر رغم استخدامهم لغة المستعمر ولكنهم فرضوا أدبا جزائريا حدا ومتحررا ووضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يجب أن لا يعتبر مسألة يؤسف لها ، فكل من الأدبين الفرنسي والجزائري قد استفادا من الظروف التي كانت قائمة إذ أسهمت في إثرائهما فالتبادل المباشر للأفكار والأحاسيس والمشاعر وكذا التفاعل بين الثقافة الفرنسية والتراث الجزائري العربي الاسلامي ، كل هذه قد تركت آثارا إيجابية على كل من الأدبين الفرنسي والعربي . وقد أكد النقاد الفرنسيون خلال القرن العشرين أهمية الاسهامات الجزائرية في الأدب الفرنسي ، فعندما تندمج الروح الشرقية الجزائرية بالثقافة الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الجزائريون تكون النتيجة أدبا أصيلا ، فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربية عديدة تميزه عن آداب الأقطار العربية الأخرى فإن هذا التميز له آثاره السلبية على الأدب الجزائري ، فالكتاب الجزائريون بسبب حاجز اللغة لم يكونوا قادرين على الوصول إلى مخاطبة شعبهم ما عدا قلة محددة إضافة إلى ذلك فإن الوضع السياسي السائد في الجزائر اضطرهم إلى حذف إجزاء من كتاباتهم لا سيما تلك التي تنتقد السياسة الاستعمارية الفرنسية في بلادهم حتى يضمنوا نشر هذه الكتابات.

من خلال ما سبق استفزتني تلك الطروحات والقضايا للبحث في ماهية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ، بالتحديد موضوع الرواية الجزائرية المكتوبة بلغة المستعمر (الفرنسية) ، فهو بحث أو دراسة أهدف من خلالها إلى إبراز الخصائص الفنية للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية عبر النموذج المختار ' الدار الكبيرة ' لـ محمد ديب وكان اختياري لهذه الرواية سبب الخصوصية التي ميزتها وذلك لكونها تحمل رؤية شاملة وواضحة عن أوضاع الجزائر في تلك الفترة فهي تعالج في الأساس مشاكل اجتماعية أهمها الفقر المدقع الذي يعانيه سكان الدار تتخللها إيحاءات وإشارات تحمل في ثناياها ايديولوجية التغيير الذي تنبئ بـ' ثورة التحرير'.

أما المنهج الذي اعتمدت في بحثي فهو المنهج الوصفي التحليلي ، وقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول .

في الفصل الأول تعرضت للمحة تاريخية حول وضعية الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي من خلال الجوانب السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، والثقافية وأثر هذه الجوانب في الاتصال الأدبي بين الجزائر وفرنسا .

أما الفصل الثاني فقد خصصته للرواية الجزائرية بعد قيام الثورة وذلك من خلال ظهورها ومؤثراتها وعلاقتها بالرواية الفرنسية ثم ارتباط الرواية الجزائرية بالمقاومة ، وأهم رواد الرواية الجزائرية والرواية الفرنسية ، وارتباط الرواية الجزائرية بالمقاومة .

أما الفصل الثالث فهو دراسة تطبيقية لرواية الدار الكبيرة من خلال قراءة في الزمان والمكان والشخصيات ....إلخ .

والواقع وكما هو مألوف ، فلا يوجد عمل يتم دون جهد أو تعب ، وأنا بدوري قد صادفتني في رحلتي العلمية هذه صعوبات لا أقول بأنها عسيرة وكبيرة وصلت بي إلى حد المشاكل والأضرار سوى بعض العقبات التي كان أولها قلة المراجع خاصة في تخصص " الآداب الأجنبية والأدب المقارن " وصعوبة الترجمة المأخوذة عن المراجع الفرنسية .

الفصل الاول

لمحة تاريخية حول :

وضعية الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي .

<u>اولا :</u>

ا- الجوانب السياسية :

ب- الجوانب الاقتصادية :

ج- الجوانب الثقافية :

د- الجوانب الاجتماعية:

<u>ثانيا :</u>

اثر هذه الجوانب في الاتصال بين الادبين الجزائري والفرنسي

تمهـــيد:

نعالج في هذا الفصل اوضاع الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي من خلال تعرضنا لمختلف الجوانب (السياسية الاقتصادية , الثقافية , الاجتماعية التي مرت بها البلاد اثناء الاحتلال ثم نعرج عن اثر هذه الجوانب في الاتصال بين الجزائر و فرنسا

" ففي الجانب السياسي تتحدث عن المواجهة السياسية التي اتسمت اثناء فترة الاستعمار الفرنسي بالاضطراب والعنف المستمرين,وكانت اسباب هذا الاضطراب متمثلة في طغيانه و جبروته و ظلمه فكان هذا الاستعمار هو محور هذا الاضطراب , كما كان السبب في ظهور الثورات العسكرية ففي اثناء الثورة شهد المجتمع الجزائري تطورا سياسيا تمثل في وجوب التخلص الفوري والنهائي من الاستعمار الفرنسي و الى الابد اذ استطاع خلق تنظيم ثوري قوي هو جبهة التحرير الوطني التي تحملت مسؤولية الدفاع عن مصالحه الوطنية في الداخل والخارج , وكان مما اتصفت به هذه السياسة هو تحررها من الضغوط الاجنبية بسبب مساندة الشعب لها ,و انبثاقها من فكر سياسي وطني اصيل " (1)

اذا كان المجتمع الجزائري لم يتطور خلال الثورة من الناحية الاقتصادية لان وسائل الانتاج ظلت بأيدي العدو فانه تطور من الناحية الفكرية الاقتصادية اي انه نظر الى الثروة التي يملكها على انه يجب تسخيرها لخدمة الثورة " و بذلك فقد شكل الشعب قاعدة خلفية للثورة تضمن لها الوسائل المادية الضرورية لمواصلة جهادها علي العدو وقد قدم الشعب قي مقابل هذاالتأييد المادي للثورة الكثير من التضحيات الجسام اذ احرق الاستعمار منازله و نهب ارزاقه و سلب امتعته و احرق ارضه و صادر محصولاته الزراعية و عرض خيراته و امواله للسلب والنهب"(2)

(1)عبد الملك مرتاض ,فنون النثر الادبي في الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983-ص 5

(2)محمد زروال الحياة الروحية في الثورة الجزائرية , منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1994- ص53

أما من خلال الجانب الاجتماعي فقد مارس الاستعمار سلطته لانتزاع اخصب الاراضي من الشعب الجزائري و تسليط الضرائب عليه والتسبب في انقسام المجتمع الى طبقات و هجرة البعض الى الخارج و انتهاك حركة الشعب الجزائري ,و دوس كرامته حيث شكلت تلك المظالم بالنسبة اليهم باعثا كبيرا في احداث الشعور المشترك والبحث عن الذات قصد التخلص من هذا الوضع الاجتماعي المتعفن و من هنا ننتقل الى الجانب الثقافي حيث نجد ان العامل الثقافي في هذه المرحلة يكاد يكون حظه معدوما لان العدو اغلق المدارس و حرم المجتمع من وسائل الثقافة و قد ادى ذلك الى عدم تطور هذا الجانب , اللهم اذا استثنينا هذه الطائفة القليلة ممن دأبواعلى تثقيف انفسهم و تغدية عقولهم و افكارهم باللغة الفرنسية , على انه ما يمكننا تسجيله في هذا الصدد هو ان المجتمع الجزائري خلال الثورة قد نظر الى الثقافة من جانبها " النظري" وبقدر ما كانت سياسة التجهيل شديدة الوطأة على الشعب بقدر ما كان ذلك باعثا على وجوب التحرر من هذه القيود الثقافية التي اخرته عن اللحاقبقافلة من سبقوه في ذلك ‘ " ولعل اكثر الفئات الاجتماعية التي حظيت بنصيب وافر من الثقافة هي التي كانت تحت حماية الثورة اعني بذلك طبقة اللاجئين في كل من تونس و المغرب حيث فتحت الثورة المدارس في وجه ابناء هؤلاء لكي تعلمهم تعليما يتناول الثقافة العامة و تكون الكثير منهم تكوينا عسكريا ليشاركوا في عملية تحرير الوطن , و لم تكتف الثورة بذلك بل انها انشات فرقة مسرحية واخرى فنية و ثالثة رياضية , وما ميزها هو انها كانت تقوم على الوحدة الوطنية بحيث نجدها ثقافة ثورية تحررية جزائرية انسانية لا تضيق بالأفكار التحررية العالمية بل تدعمها و تساندها لان فيها تكاملا لرسالتها الوطنية التي غايتها طرد الاستعمار ‘و محاربته "(1) وبعدها ننتقل الى كيفية اثر هذه الجوانب في الاتصال الادبي بين الجزائر وفرنسا فمن خلال ما سبق ظهر جنس الرواية فـــي

(1) محمد زروال – الحياة الزوجية ص 54.

الأدب الجزائري نتيجة الاحتكاك و التفاعل المستمر مع الثقافة الفرنسية خاصة المكتوبة بالفرنسية لان مضامين تلك الروايات تتحدث عن كيفية التخلص من ظلم الاستعمار الفرنسي وتصور مدى معاناة الشعب الجزائري في مختلف الجوانب الاقتصادية, السياسية الاجتماعية وحتى الثقافية من فرض سياسة التجويع , و تجهيل الشعب و تركه في دوامة الفقر و المرض ويعتبر الادب الجزائري المكتوب بلغة المستعمر ردا على محاولات طمس هوية الجزائريين وتصفية جميع تقاليدهم و مبادئهم , ولم تكن كتابات اولئك الادباء باللغة الفرنسية الا انهم قد تعلموا بالمدرسة الفرنسية ,او اتصلوابالأدب الفرنسي بطريقة او باخري , ثم انهم عاشوا حقيقة شعبهم بواقعه المر و ذلك حين حارب الاستعمار الفرنسي اللغة العربية و فرض لغته و هذا ما دفع بالجزائريين لدراسة تلك اللغة و الاغتراف من مناهل تلك الثقافة مما ساعدهم على اغناء تقاليدهم و تراثهم ومن جهة اخرى فان النظام الاستغلالي الاستعماري كان له اثر كبير في اسراع عملية التطور الاجتماعي و الثقافي في الجزائر فرغم ان الاستعمار قد وجه التطور الاقتصادي توجيها خاصا يخدم مصالح فرنسا و يجعل الجزائر مصدرا للمواد الخام فان ذلك النظام نفسه قد في نفس الوقت على خلق طبقات جديدة و احداث تغييرات داخل الجزائر وظهور طبقة المثقفين و قد استطاعت هذه الطبقة ان تجعل من الادب الفرنسي و اللغة الفرنسية اداة تساعدهم على التعبير عن قيمهم و افكارهم بدل ان تسلب منهم شخصيتهم.

وضعية الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي:

الجوانب السياسية :

تميز الاحتلال الفرنسي للجزائر بفترتين متباينتين الاولى فترة الاحتلال العسكري المبني على الاستيلاء على الاراضي الجزائرية و سكانها و خيراتها و قد قام الشعب الجزائري اثنائها بمقاومة مصلحة تحت راية الطرق الدينية و الزوايا و على هذا الاساس لا يرضى الشعب الجزائري اثنائها بمقاومة مسلحة تحت راية الطرق الدينية و الزوايا و على هذا الاساس لا يرضى الشعب الجزائري بالعيش تحت حكم الكافر اما الثانية فقد تميزت بالتخطيط للاحتلال الروحي و الثقافي و تبدا هذه الفترة بالقضاء على الشخصية الجزائرية الاسلامية و ذلك بتعليم اللغة الفرنسية بدل اللغة العربية(1).

و قد اتسمت الحياة السياسية في الجزائر اثناء فترة الاستعمار الفرنسي بالاضطراب و العنف المستمرين و كانت اسباب هذه الاضطرابات السياسية ممثلة في وجود الاستعمار الفرنسي في طغيانه وجبروته و ظلمه فكان هذا الاستعمار هو محور هذا الاضطراب السياسي المستمر كما كان هو السبب الاول في قيام هذه الثورات العسكرية المتعاقبة في الجزائر ابتداء" من ثورة الامير عبد القادر الى ثورة سنة اربعة و خمسين من هذا القرن(2) " و انما كانت تختلف هذه الثورات قوة و ضعفا و لينا وعنفا بحسب العوامل و الظروف فقد كان وجود الاستعمار الفرنسي مصدر كل ما في الجزائر من ظلم وكان هذا الاستعمار يستشير النفوس الابية فتثور عليه فالأملاكالتي كانت تابعة لأوقاف قد داستها و المساجد التي كان المسلمون الجزائريون يؤدون فيها صلواتهم اغلق بعضها اغلاقا على حين ان كثيرا منها تحول الى كنائس او مؤسسات عامة ,اما الاملاك الخاصة و لا سيما الاراضي الخصبة التي تقع في شمال البلاد فقد سلبت من اصحابها الشرعيين .

(1) محمد قنانش , المواقف السياسية بين الإصلاح و الوطنية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر:1975 ، ص15

(2) عبد الملك مرتاض ، سبق ذكره ، ص 10

و اصبحت في ملك المستعمرين الأوربيين و اما المدارس العربية التي كانت مصدر اشعاع للثقافة العربية الاسلامية خربت هي ايضا فاستحالت الى اطلال اذن فقد مس الجزائريون في مقدساتهم و مصالحهم العامة على اختلافها من دينية وثقافية و سياسية و اقتصادية فكان لا مناص ان يكون رد الفعل عنيفا من خلال ظهور الثورات و الحركات السياسية " و قد اعتبرت سنة تسع عشر منعرجا سياسيا كبيرا حيث ظهر قانون رابع فبراير الذي سوى بين عناصر السكان في الضرائب و زيادة في عدد الناخبين الجزائريين ' ظهور حركة الامير خالد الذي تزعم الهيئة الوطنية في الجزائر و شكل واجهة قوية اخدت تدافع عن حقوقها بواسطة الخطب والصحف و كان حزب الامير خالد قائما على معاداة الاندماج , وعلى المطالبة بالمساواة التامة بين الجزائريين و الفرنسيين في المجلس الوطني والغاء القوانين الاستثنائية الخاصة بالأهالي الجزائريين و تطبيق مطلق لقانون التعليم على الجزائريين بيد ان حركة الامير خالد اخفقت في نهاية الامر "(1)ولكن تأثير الحركة الخالدية كان أعمق واخطر من أنينتهي بمجرد خروج هدا الزعيم الوطني من الجزائر لذلك نجد حركة سياسية قوية جديدة تظهر في سنة 1924 م وهي"جمعية نجم شمال افريقية و يمكن اعتبار هذه الحركة استمرارالحركة الأمير خالد و قد كافحت هذه الجمعية السياسية التي ترأسها مصالي الحاج اثنتي عشرة سنة كابدت خلالها أهوالا و خطوبا تمثلت في السجن و النفي و المضايقة الشديدة ...الخ , و لما حلت جمعية نجم شمال افريقية أسس مصالي الحاج حزبا أخر هو حزب الشعب الجزائري في سنة 1937 , بيد أن السلطات الاستعمارية كانت له بالمرصاد فاعتقلته"(2).

و تعتبر مبادئه السياسية من أجرأ المبادئ,وبعدها أسست جمعية أهدافها الظاهرية دينية

(1) محمد قنانشالمرجع السابق ، ص 14

(2) عبد الملك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954 م,سبق ذكره, ص11

تدافع عن مبادئ الدين الإسلامي ,وصون لغة الضاد, أطلق عليها أصحابها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد انتخب عبد الحميد ابن باديس رئيسا لها,وظل رئيسا لها و قائما على راستها إلى أن وافته المنية سنة 1940م فخلفه محمد البشير الإبراهيمي إلى نحو 1956م,ولكن جمعية العلماء المسلمين قاومت الاستعمار الفرنسي مقاومة سياسية عنيفة ,وكانت اشد وقعا من ثورة مسلحة ,لان الثورة المسلحة يمكن القضاء عليها بقوة الحديد في حين أن المبادئ تغلغلت إلى القلوب وامتزجت بالدماء وسكنت النفوس .

"وانطلاقا من الحرب العالمية الثانية اشتد الصراع السياسي بين الوطنيين الجزائريين و الاستعمار الفرنسي فتضاعفت المقاومة السياسية واتحدت لها أشكالا مختلفة فنجد فرحات عباس وبعض أصدقائه يؤسسون حزبا يطلقون عليه أحباب البيان و الحرية ولكن هذا الحزب لم يلب أن حل واعتقل هو أيضا واعتقل زعيمه فرحات واضطهاد أعضاؤه اضطهادا يتمثل في القتل والتعذيب وبعد خروج فرحات عباس من السجن سنة 1946م أسس حزب جديد خلفا لحزب أحباب البيان المحلول أطلق عليه الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري".(1)

(1)محمد قنانش ، المرجع السابق ، ص 18

و في هذا الصدد نستعرض التنظيم السياسي والإداري في عهد الاستعمار الفرنسي , فقد عرفت الجزائر إبان العهد الفرنسي أربعة أنواع من نظم الحكم وهي:

النظام الملكي: 1830-1848م

النظام الجمهوري: 1848- 1852

النظام الإمبراطوري: 1852-1870

النظام الجمهوري : 1871- 1962 م

هذا النظام السياسي الذي ارتبط به المستوطنون خلال احتلالهم لبلادنا أما نحن فلم نعرف إلا نظاما واحدا وهو النظام العسكري ,لأنهم ظلوا خاضعين للقوانين الاستثنائية والإجراءات الرادعة والمحاكم الزجرية طيلة الوجود الاستعماري .

" و سنتناول مختلف المؤسسات الاستعمارية السياسية و الإدارية و الاجتماعية و القضائية على حد السواء منذ 1830الى 1962 كالحكومة العامة والبلديات و المجالس العملية وغيرها المؤسسات السياسية : بعد انتهاء غزو المدن الساحلية بدأ الفرنسيون يفكرون في نوعية نظام الحكم الذي يطابق الأوضاع الجديدة في الجزائر ، وقد اختلفوا فبعضهم كان يرى ضرورة إلغاء أجهزة الإدارة العثمانية السابقة وتأسيس إدارة جديدة متطورة ، في حين كان يرى البعض الأخر ضرورة الجمع بين النظامين وقد استقروا على الاختيار الثاني ولعل من أهم ما أبقى عليه الفرنسيون في الجزائر من النظم السابقة هو تقسيم البلاد إلى ثلاث عمالات في الشمال ومنطقة

عسكرية في الجنوب بعد أربعة عقود من الاحتلال وهي : الجزائر (عاصمة البلاد) يوجد بها مقر الحاكم العام ، وقسنطينة في المرتبة الثانية وتأتي عمالة وهران في المرتبة الثالثة "(1)

وإذا كان الفرنسيون قد قسموا البلاد إلى دوائر والدوائر إلى بلديات والبلديات إلى دواوير كما هو الحال في فرنسا ، فان ذلك لم يكن يختلف عن الوضع الإداري في العهد العثماني ، إلا بالاسم.

(1)عبد الكريم بوصفصاف ، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف 1954 – 1962 م قسنطينة دار البعث للطباعة و النشر 1998 ص 14- 15

"وإذا كان والداي قبل 1830هو السلطة العليا في البلاد ولا يخضع للباب العالي إلا خضوعا اسميا ، فان الحاكم العام إبان الاحتلال الفرنسي كان يأتي على رأسهرم السلطة في الجزائر المستعمرة مند 1834 فهو يمثل الحكومة الفرنسية في الإقليم الجزائري ويستمد سلطته من وزير الداخلية ولكنه كان يتمتع بصلاحيات واسعة أما الكاتب العام للحكومة فانه كان يساعد الحاكم العام في مهامه السياسية والإدارية ، وبعد الحاكم العام يأتي عامل العمالة الذي يعين من قبل الحاكم العام نفسه ويكون تابعا للحكومة العامة "(1)

وقد قسمت كل عمالة إلى دوائر يرأس كل واحدة منها نائب العامل وكانت ولاية سطيف دائرة من دوائر عمالة قسنطينة قبل أن تصبح عمالة سنة 1965 وقد قسمت كل دائر ة إلى بلديات والبلديات ثلاثة أنواع وهي :

1- البلديات ذات الصلاحية الكاملة:''Commune de pleines exercice"

وقد نشأت مع بداية الادارة الفرنسية في الجزائروهي مؤسسة ادارية راقية تشبه البلديات في الوطن الام فرنسا الى حد كبير و يراسها فرنسي منتخب بالاقتراع العام من غير المستوطنين و يكون "القايد" نائبا له عن المسلمين .

2- البلديات المختلطة :"Commune mixte"

هذا النوع من البلديات ليس لهم نوع في فرنسا و غير معروف في المستعمرات الفرنسية الاخرى ,ويمثل حاكم البلديات المختلطة السلطة الاستعمارية بكل سماتها فهو يمثل رئيس البلدية وموظف الدولة ,وبعبارة اخرى فهو يجمع بين يديه كل السلطات السياسية والعسكرية والمدنية ,بالتالي فان صلاحياته تفوق صلاحيات رئيس البلديات ذات الصلاحيات الكاملة ,كما نجد الحاكم الاداري يتمتع بهيبة واحترام مصطنعين من قبل القياد و الرعية ,كما ان اشرافه على بلديات

(1)عبد الكريم بوصفصاف , المرجع السابق ص 19 – 20

(2) المرجع السابق

مترامية الاطراف يجعل من العسير عليه استيعاب كل مشاكل السكان ,بل فانه لا يستطيع ان يدرك مشاكل الجزائريين في غالب الاحيان لاسيما اذا كان يجهل اللغة العربية وعادات وتقاليد المجتمع الجزائري المسلم .

"3- البلديات الاهلية :" Commune indigène "

اما النوع الثالث من البلديات فهي البلديات الاهلية وقد وجد هذا النوع في الجنوب الجزائري بعد انشاء المنطقة العسكرية التي تعتبر العمالة الرابعة في الجزائر ويأتي الحاكم العسكري على راس السلطة في هده البلديات , ويساعده كل من القايد والباشا اغا وقد احدثت فيها رتبة جديدة مثل شيخ العرب او الخليفة ,والبلديات الاهلية كما يدل عليها اسمها لايوجد فيها العنصر الأوروبي الا قليلا وقد حافظ هدا النوع من البلديات على نظامه وشكله طيلة الفترة الاستعمارية ولم يحدث اي تغيير حتى سنة 1962

4- المؤسسات القضائية :

اما على مستوى القضاء فعلينا ان نتساءل الان ماهو وضع الاهالي داخل مؤسسة القضاء الفرنسي في الجزائريلاحظ المرء ان الجزائريين خلال العهد الاستعماري كانوا لايتقاضون امام محكمة واحدة ,وليس لهم قانون واحد كما هو الحال بالنسبة للفرنسيين ومما زاد الوضع سوءا في هدا القطاع ان حكومة الاحتلال الفرنسي قد اوكلت القضاء الاسلامي الى قضاة فرنسيين ,وان القاضي المسلم ليس له حق النظر الا في الاحوال الشخصية كالزواج والطلاق و الارث .

" وجملة القول ان المؤسسات الاستعمارية الفرنسية في الجزائرعلى اختلاف انواعها واشكالها كانت تتميز بالحداثة والتنظيم من حيث طبيعتها الادارية ,ولكن ليس من حيث العلاقات السياسية وقد اقتصرت مردودية هدا التنظيم على الجالية الاوروبية فقط ." (1)

كما يتضح فان فرنسا لا تعتبر الجزائريين شعبا كغيره من الشعوب الاخرى جديرا بالحياة

(1)المرجع السابق , ص 28

و التقدم ,انما تنظر اليه على انه مجموعة من الخدم اذا لم نقل فئة من العبيد في خدمة السادة الاقطاعيين في الريف و البرجوازية التجارية في المدن " ومن ثمة فان على المرء ان يرد وبأدلة تاريخية واقعية على ذلك الادعاء الفرنسي الباطل القائل ان الجزائريين شغب لا يصلح لاللتعليم و لا للتنظيم وان فرنسا قد جاءت لتنظيمه و تمدينه وبالتالي اخراجه من حالته البربرية "

و قد عملت فرنسا على اضفاء الطابع الاوروبي في كل انحاء القطر الجزائري واطلقت على المدن و الشوارع و الاحياء اسماء ضباطها العسكريين و قادتها العسكريين و قادتها السياسيين ورجالها المفكرين مثل سان جون ,فولثير , جان جاك روسو , فيكثورهيغو , سانت ترونوو بيجو ومكماهون و غيرهم.....

كما اقاموا في كل المدن الجزائرية تقريبا نصبا تذكارية لاشهر رجال الاحتلال و نسائه مثل بوتان و لامورسيار و تمثال القديسة جان دارك " (1)هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد شوه الفرنسيون المعالم التاريخية و الحضارية و الرموز الوطنية والمقدسات الدينية فحولوا مسجد كتشاوة بالعاصمة الى كاتدرائية فرنسية تابعة للكنيسة الكاثوليكية و ازالوا قصر الجنينة و اصبح يدعى ساحة الحكومة و في قسنطينة ايضا حول مسجد حسن باي الى كنيسة كاثوليكية أيضا .

(1)المرجع السابق , ص 30

ب – الجوانب الإقتصادية:

أما بالنسبة للجانب الإقتصادي فقد انعكست آثاره سلبياعلى الوضع المادي للمجتمع الجزائري،وذلك من خلال شكل السياسةالجبائية للإدارة الاستعمارية إحدى الأدوات الرئيسية التي استخدمتها في إطار تحقيق مخططها الهادف إلى تهميش الشعب و إلى تصفيته إن أمكن ، مع مرور الزمن ليحل محله و على أرضه " شعب جزائري" جديد مشكل من خليط من الأجناس الأوروبية التي تكون السيطرة فيها للعنصر الفرنسي.

" لقد كان الشعب الجزائري يساهم في مداخيل الخزينة بصفة مباشرة عن طريق إخضاعه لنوعين من الضرائب المسماة بالضرائب العربية التي منها الزكاة على الأنعام و العشر على المحاصيل الزراعية و ضريبة على البساتين و على النخيل و على تكوين الملكية و رسوم على حفلات الزواج و على الأعياد الدينية و غيرها ، كما يساهم الجزائريون في مداخيل الخزين بإخضاعهم كذلك للضرائب العادية، لقد كانوا مجبرين على دفع عدد من الرسوم نقدا على خلاف باقي الممولين ، كما كانوا يدفعون الضريبة العقارية على الأملاك الزراعية و على المباني و رسوم على الحيوانات و ضريبة على المهن و ضريبة للغرف التجارية و أخرى على أشجار العنب و حق التسجيل و رسوم تستخلص لفائدة البلديات و العمالات و غيرها، بحيث مجمل ما يساهم به الجزائريون ، رغم فقرهم كان يصل إلى حوالي ثلاثة أرباع ما يدفعه المستوطنون "(1)

و الوجه الثاني لما يمكن تسميته بسياسة القمع الاقتصادي التي اتبعتها إدارة الاحتلال ضد الجزائريين و يتمثل في المصادرات .لقد اتخذت هذه العملية أشكالا شتى بدأت في المرحلة الأولى بوضع اليد على أملاك الدولة ثم اتسعت لتشمل أولئك الذين هاجروا طواعية أو كرها

(1)جمال قنان : قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر- الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1994 م ، ص 169

لتمتد إلى أملاك و أراضي المقاومين سواء كأفراد أو مناطق بأكملها ثم طورت عملية افتكاك الأراضي من بين أيدي الجزائريين و بشكل منظم في إطار تطبيق قانون مجلس الشيوخ لعام 1863(سنتوسكونسولت)، و في الوقت الذي كانت فيه هذه العملية الأخيرة جارية تحت ستار ما يسمى بعملية التمليك الشخصي ، كانت هناك إجراءات المصادرة العادية مستمرة ضمن ما يسمى بسياسة التهدئة و حفظ الأمن فليس للجزائري أي ضمان على أملاكه و على ثروته بل يكفي تهمة ملفقة ضده زورا و بهتانا ليتحول إلى فقير معدم بين عشية و ضحاها.

و يندرج في سياق" سياسة القمع الإقتصادي كذلك إقرار مبدأ المسؤولية الجماعية و تطبيقه ضد الجزائريين ، لقد صدر قانون بهذا الشأن عند بداية الثمانينات من القرن و كانت هذه الممارسة معروفة و مطبقة في الماضي عندما كانت مندرجة ضمن صلاحيات ما يسمى بلجان التأديب و لكنه كان إجراء استثنائيا فلم يرسم و لم يثبت في شكل قانون إلا في عام 1882م .إثنان و ثمانون و ثمانمائة و ألف و في سنة 1881 صدر القانون المعروف باسم قانون الأهالي , و هو يحتوي على مجموعة من العقوبات ضد مخالفات هي في نظر القانون العادي لا تعتبر كذلك وبالتالي فليس هناك قانونيا من عقوبات لها, و أعطيت صلاحيات تنفيد هذا القانون و تطبيقه لا إلى سلطة قضائية و إنما للسلطات الإدارية للمتصرفين على مستوى البلديات المختلطة ولشيوخ البلدية على مستوى البلديات التامة.

و يستطيع هؤلاء معاقبة شخص بالحبس قد تصل إلى شهر بغرامة حتى مبلغ الخمسمائة فرنك إلى جانب حق تسخير " الأهالي" لإنجاز أعمال مختلفة بما فيها شق الطرق و حراسة مزارع وحقول المستوطنين و غيرها من الأعمال الأخرى" (1)

(1)جمال قنان ، المرجع السابق , ص 170

جـ - الجوانب الثقافية :

انقضت فرنسا على الجزائر سنة 1830 م , و قامت بإبعاد العنصر الإسلامي عن الحكم و قسمت البلاد إلى عمالات و مقاطعات , و مما لاشك فيه أن التعليم في الجزائر خلال عام 1830 كان أكثر انتشارا و أحسن حالا مما هو عليه بعدها , و قد هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم بدرجاته المختلفة فضلا عن مئات المساجد , ولا يجهل الاستعمار أن العلم سيف قاطع فإذا تسلح به الجزائريون استطاعوا أن يقاوموه، فسعى حينئذ في تجهيل الأمة الجزائرية و إبعادها عن تراثها الفكري و تحطيم المقومات الأساسية في مجالات التعليم و الثقافة و الصحافة و الأدب و التاريخ و اللغة العربية حتى يقصى مع القومية العربية و الشخصية الاسلامية فلا يعرف الجيل الجديد العوامل الحية للأمة و الكيان الجزائري العربي الإسلامي فيسهل عليه بلعهم و تقريبهم و فرنستهم." و في سنة 1883 ألف و ثمان مائة و ثلاثة و ثمانين أخد الاستعمار يفتح أبواب المدارس في وجه أبناء الجزائر لكن التعليم كان فرنسيا بحتا, فكيف لا و الجزائر أصبحت عنده قطعة من فرنسا و لغتها الفرنسية ، و لم يكن القصد في تعليم الجزائريين الاستجابة لصوت الأمة المتعطشة للعلوم و العرفان , و إنما تقريبهم من فرنسا بواسطة اللغة الفرنسية حتى يأتي ابتلاعهم و ادماجهم ، فأصبحت اللغة العربية لغة البلاد في المدارس الثانوية لغة اختيارية كأنها لغة أجنبية في بلادها أما في المدارس الابتدائية فلا أثر لهذه اللغة التي تكون بها الماضي القريب الشعراء , الكتاب و المفكرون و الخطباء.

ولم يلبث الاستعمار أن أغلق المدارس العربية لأنها تعلم العربية و التاريخ و الأدب التي هي خطر عليه , و فتح مكانها المدارس الفرنسية ذات البرامج الفرنسية "(1) لا يجد فيها الجزائري إلا ما يضعف فيه الروح العربية الاسلامية و من ثمة الشخصية الجزائرية و مقوماتها .

(1)عبد الملك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931- 1954 م، سبق ذكره ص 261

" و الكل يعرف أن الأمة الجزائرية كان لها قبل الاحتلال الفرنسي مقوماتها ، فقد ساهمت الجزائر في بناء صرح الحضارة العالمية ، وفي صنع تاريخ البحر المتوسط عبر العصور ، وارتبطت بمختلف الصلات و العلاقات التجارية مع العالم الخارجي ، ورحل من أبنائها الكثير إلى الخارج يبحثون عن الثقافة و نزل بها مهاجرون من مختلف البلدان أثروا و تأثروا فكانت أمة بمفهومها المعروف فكان الجزائريون يحسون دائما بالوحدة الوطنية من عهد مسينيسا وقد تجسمت هذه الوحدة عند اعتداء الرومان و الوندال و الروم و الإسبان و فرنسا مؤخرا عليهم , فقاوموا كرجل واحد و ذادوا عن كل شبر من القطر الجزائري , و قد تجسمت أكثر عندما قام الشعب بأكمله لخوض المعركة الأخيرة التي كللت بالنصر المبين و دحر العدو نهائيا".(1)

فقد وجدت فرنسا عند تعديها على الجزائر مجتمعا منظما له حضارته و ثقافته المورثة عن الأجيال الماضية , وقد شنت عليه حربا تريد بها إبادته و لكنها لم تقدر, فظل صامدا لأداها , وأمكنه أن ينقد نفسه من شرها و يخرج ظافرا في معركته ضد الطغيان , فمن ذا الذي يصدق فرنسا بأن الجزائر لم يسبق لها ثقافة , فلا يمكننا أن نتصور أمة لم تسبق لها ثقافة , فلا يمكننا أن نتصور أن أمة لا تملك ثقافتها الخاصة بها.

و قد استطاع الشعب الجزائري أن يطور حياة ثقافية بلغت ذراها في عهد الحماديين ، وقد وجدت فرنسا الجزائر دولة مستقلة تعترف بها جميع الدول , و كان لها علاقات ديبلوماسية و تجارية مع أمريكا و فرنسا و إيطاليا و غيرها من دول الشرق و الغرب , و كانت لها قوة بحرية حمت بها شواطئها , و الحالة الاقتصادية كانت جد مزدهرة و كانت مدن الجزائر ملتقى

(1)المرجع السابق , ص 266

حضارات مختلفة منذ القديم لأنها كانت مراكز تجارية ، فلما دخل العرب البلاد تفاعلت الحضارة العربية مع حضارة السكان الأصليين , فنشأ عن ذلك التفاعل حضارة اسلامية و ثقافة اسلامية لها خصائصها التي تميزها عن غيرها من البلدان في طرق حياة سكانها و ملابسهم و معمارهم و أدبهم ، و أصبحت الجزائر لاسيما في عهد الحماديين مركز إشعاع فكري و مركز حركة دينية ، و ظلت الجزائر مزدهرة حتى أواخر القرن الرابع عشر ، وأقل نجمها نتيجة للظروف التاريخية الخاصة التي عاشها العالم الاسلامي عامة تحت ظل الحكم التركي و بعد ذلك السياسة الفرنسية الاستعمارية التي تبعتها في الجزائر و قامت بتحطيم كل صلة تربط بين الشيء بماضيه حيث "أخذت تنشر الجهل بين الجماهير و ذلك بإغلاق المدارس العربية وتحريم

التعليم بلغة البلاد (العربية) و إجبار الناس على التعليم بالفرنسية ، فهكذا حطمت جميع معالم الشخصية الجزائرية بتحطيمها اللغة العربية التي هي أداة الثقافة و الحضارة , فلم تجد الثقافة الاسلامية مأوى إلا المساجد و انغلقت على نفسها أمام تأثيرات الثقافة الفرنسية"(1), و لكن هذا البصيص من الثقافة الاسلامية أخذ نطاقه يتوسع بطيئا و بمساعدة التيار المشرقي صار نبراسا ثقافيا أضاء للشعب طريقه إلى نهضته المباركة المتصفة بذلك الكفاح المرير ضد تأثيرات أجنبية مختلفة ، فغاية هذه النهضة هي استرجاع مقومات و معالم الشخصية الجزائرية التي يسعى الاستعمار إلى تحطيمها وتفتيتها ، فتكتلت المجهودات و ظهرت الجمعيات ، وقامت الطبقة المثقفة تقاوم الاستعمار بالقلم, فسجلت الفضائح التي قام بها الجندي الفرنسي و بينت مصادرة الأملاك و الأرزاق و المظالم و طالبت بالمساواة و الحقوق المشروعة ، وقامت جمعية نجم شمال إفريقيا تقاوم الاتجاه الفرنسي في الخارج ، و أخذت جمعية العلماء تقاوم نفس الاتجاه داخل البلاد.

(1)المرجع السابق , ص 268

و تكونت بجانب هذه الجمعيات أحزاب جزائرية ، حزب الشعب الجزائري و حزب البيان و الحرية المؤلفة من خريجي المدارس الفرنسية ، لكن فرنسا نكلت بجميع هذه الأحزاب و بالجمعيات ، لكنها لم تقوا على أن تجعل حدا لهذه المقاومة الدريعة التي نتجت عنها الثورة الكبرى في كل مكان من أرض الوطن و التي استرجع بها الشعب حريته و استقلاله , إن حركة الإصلاح التي قامت بها الجمعية قد فعلت فعلها في نفوس النشء فكان له أدب من شعر و فكر ساير الواقع القومي في جميع مناحيه فكان لسانا صادقا عبر عن آلام الشعب و طموحه و أحلامه، وكان ثورة على الحياة الاجتماعية القدرة و على الجهل و الفقر و المرض و على أعداء الجزائريين من استعماريين و رجعيين و مشعوذين , من خلال ما سبق نستعرض معا جهود الكتاب الجزائريين اللدين اتخذوا من اللفظة الجميلة سلاحا قويا يحاربون به الرذيلة و الفساد نذكر:

" * محمد البشير الإبراهيمي في كتاباته الأدبية التي كانت تعول على الخيال البارع و تستمد من بحره الطافح، كأحاديث ' سجع الكهان' و فصول أخرى كثيرة كان يعبر فيها عن ذاتية واضحة, و تمتاز كتاباته بالنزعة التعليمية.

*أحمد رضا حوحو في كتاباته القصصية و المسرحية فقد كتب أكثر من خمس عشرة مسرحية ، و رواية واحدة ، و قصصا قصيرة كثيرة ، و رواية واحدة و مقالات أدبية متنوعة.

* محمد السعيد الزاهري ، و لاسيما في فصول 'الإسلام في حاجة إلى دعاية و تبشير' و في مقالات و محاولات قصصية كان ينشرها بالمجلات الشرقية المعروفة كالرسالة الزياتية،

والفتح، و المقطم و سواها.

*أحمد بن دبيان في مسرحياته و مقالاته الأدبية الكثيرة." (1)

(1)محمد الطمار , الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج – الجزائر , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1983ص 63

" * أحمد توفيق المدني في كثير من كتاباته المتنوعة و منها مسرحية حنبعل .

*أحمد بن عاشور في أقاصيصه الكثيرة التي كان ينشرها بالبصائر.

*محمد العابد الجلالي في بعض محاولاته الأدبية القصصية التي كان ينشرها في 'الشهاب' باسم مستعار هو ' رشيد'.

*بلقاسم سعد الله في بعض أحاديثه الأدبية و النقدية ، و في قصة جميلة نشرها في البصائر الثانية تحت عنوان ' السعفة الخضراء ' و بالرغم من أن معظم هؤلاء ينتمون إلى الحركة الإصلاحية إلا أنهم سخروا الكلمة المعبرة الجميلة للبحث عن سعادة الإنسان ، أو تصور انفعالاته الباطنية بما فيها من أمل و ألم ، و سعادة و شقاء ، و أما عن الشعر في هذه المرحلة التي تعبر عن النهضة الثقافية في الجزائر قبل الثورة فنلاحظ أن الأشعار التي ظهرت تدعوا إلى اليقظة الوطنية و نبد الجهل و التسلح بالفضيلة و العلم.

كما لرأينا هذه الأشعار تحدر من التصوف و تزهد الشعب الجزائري فيه , و ترغبه عنه , فكانت القصيدة الشعرية بمثابة الخطبة الحسنة, أو الدرس النافع , فكانت تنصب في الغالب على موضوعات إصلاحية ، فتعيق مع الطرقيين أفعالهم و أقوالهم , و تصمهم بالوصمات القبيحة."(1)

(1)محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص 64 - 66

إلى جانب الجمعيات و النوادي الأدبية التي ظهرت في هذه الفترة أي قبل اندلاع الثورة ظهرت مراكز ثقافية أعظمها شأنا ، و أشهرها أثرا و هي ثلاثة : تلمسان و الجزائر و قسنطينة فقد عرفت نشاطا أدبيا فنذكر :

1"-نادي الترقي بالجزائر : كان نادي الترقي فسيحا واسعا ، و كان يتسع لحوالي خمسة آلاف شخص و كان يستقبل من رجالات الفكر و الأدب من سائد ربوع الجزائر و قد كان يخطب به ابن باديس و ما تثيره في نفوس الحاضرين من إعجاب و اعتزاز ، واستمرت الخطب فياضة بالبلاغة ، طافحة بالبيان ، إذ قام بعده الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وكيل جمعية العلماء و ألق خطابا قيما كان له أحسن وقع في النفوس و كان غاية في الإصابة و سداد الرأي .وخطبة العربي التبسي ،ومحاضرةابن باديس و أخرى للطيب العقبي و قصيدة للسعيد الزاهري و خطبة لبلقاسم الميموني و المنصفون من الناس لاريب يسارعون إلى الاقتناع بأن هذا النادي لعب دورا خطيرا في نهضة الأدب الجزائري من خطب و محاضرات و قصائد في ظروف سياسية و ثقافية عصيبة.

2-مركز قسنطينة : ليس هناك من ريب في أن ابن باديس هو أول من فيها الحياة في مطلع الربع الثاني من هذا القرن و جلب إليها الشهرة التي تبؤتها في المشرق و المغرب فقد كان يدرس الطلبة الثبات بمسجد الأخضر و يلقي محاضرات دينية و توجيهية على الشيوخ و عوام الناس أثناء الليل . و كان إلى ذلك يصدر مجلة الشهاب"(1)

(1)عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 - 1954

وتقسم حركة قسنطينة إلى مرحلتين اثنتين : المرحلة الأولى تبتدأ بتأسيس مجلة الشهاب في نحو سنة خمس و عشرين و تسعمائة و ألف ، و تمتاز هذه المرحلة بالخطابة أكثر مما تمتاز بالكتابة الفنية و التسجيل، و أما المرحلة الثانية فتبتدئ بإصدار البصائر الثانية سنة سبع و أربعين من هذا القرن و يتزعم هذه المرحلة محمد البشير الابراهيمي بعد أن خلف ابن باديس في قيادة النهضة الثقافية العربية. و أهم ما في هذه المرحلة الثقافية في قسنطينة تأسيس معهد ابن باديس سنة ثمان و أربعين و تسعمائة و ألف و قد نشأ عن تأسيس المعهد الثانوي بهذه المدينة حركة ثقافية واسعة شملت تجارة الكتب و تأليفها . وطبع المنشورات العربية على اختلافها.

3-مركز تلمسان:ظلتمدينة تلمسان ردحا من الدهر مركزا ثقافيا نشيطا ، و لكن أزهى أيام تلمسان كانت قبل قيام الحرب العالمية الثانية ، و الذي كان يقود هذه الحركة محمد البشير الابراهيمي و كان لا ينآى يلقي دروسا في شتى العلوم التقليدية التي كان يتقنها ، وكان ابن باديس كثير الزيارة له بهذه المدينة الصغيرة الساحرة.

و نذكر أيضا مراكز ثقافية أخرى كان لها شأن لا ينكر في النهضة الثقافية في الجزائر و من هذه المراكز في الغرب الجزائري ' مازونة ' و ' مغنية ' و أخرى في أعماق البوادي و القرى الصغيرة جدا، وهناك مراكز أخرى بالصحراء مثل مراكز غرداية و المزاب فكان فيها الضعيف و الفاتر، و القوي الخصب النشيط، فكانت الخطابة الرائعة و الشعر الجميل ، والمقالة الحسنة ، و الأقصوصة المصورة , وقد رأينا أن قسنطينة كانت أهم هذه المراكز بوجود ابن باديس فيها في قوة شخصيته و خصب علمه و عظيم نشاطه." (1)

(1)عبد الملك مرتاض ، نهض الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 م

المرجع السابق ، ص 47

د – الجوانب الاجتماعية :

لقد تبين من خلال ما سبق أن الجانب السياسي كان شديد الاضطراب , و اضطرب لذلك جل

الاقتصاد بالنسبة للمواطنين الجزائريين الذين سلبت منهم الأراضي الخصبة، وأبعدوا إلى الأحراش و الأوعار التي لا تغنيهم من جوع فنشأ عن هذا الاضطراب الاقتصادي، اضطراب اجتماعي عام، و يلاحظ ظاهرتين بارزتين في المجتمع الجزائري و هما:

1- ظاهرة الهجرة إلى الخارج.
2- الصراع الطبقي بين السكان

أولا: الهجرة إلى الخارج :

نتحدث في هذا الصدد عن الهجرة السياسية ،فقد عرف الجزائريون منها ألوانا مختلفة ، و نشأت عن الاضطهاد السياسي الحاد الذي كان الاستعمار الفرنسي يصبه على الجزائريين أسواطا ، "حيث بدأت ريح الهجرة السياسية تهب بعنف شديد على المجتمع الجزائري منذ بداية الاحتلال الفرنسي حيث كان الجزائريون يفرون من منطقة إلى أخرى طلبا للأمن و رغبة في العيش الهنيء، غير أن هذه الهجرة الداخلية لم تنج الجزائريين من الخطر الداهم، فالتمسوا الهجرة الخارجية مشرقا و مغربا .و أكبر هذه الهجرات إطلاقا تلك التي وقعت في سنة إحدى عشرة وتسعمائة و ألف ، حيث هاجروا عشرون ألف شخص إلى سورية وحدها ، و تجددت هذه الهجرة السياسية لدى قيام ثورة لذى قيام ثورة التحرير الأخيرة التي هاجر الجزائريين إلى القطرين الشقيقين المجاورين المغرب و تونس.

و هذه الهجرات السياسية الكثيرة التي أصابت المجتمع الجزائري منذ بداية الاحتلال الفرنسي كانت لها آثارا واضحة في المجتمع الجزائري الذي ظل متسما بالقلق و الخوف و الاضطراب ، حيث انقسمت أسر و تفرقت أخرى"(1)، ومما يمكن إضافته إلى ظاهرة الهجرة، ظاهرة الفرار فقد شاع في المجتمع الجزائري منذ مطلع العقد الثاني من هذا القرن ، فرار كثير من الشباب

(1)عبد الملك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931 – 1954 م ، سبق ذكرهص 23

الجزائري الذين كانت السلطات الاستعمارية تطالبهم بأن يتجندوا في صفوف الجيش الفرنسي ، وقد أرادت فرنسا من وراء إقحام الجزائريين في التجنيد الإجباري ، أن ترمي بهم إخوانهم في المغرب الأقصى إبان القيام باحتلال هذا البلد الشقيق ، فهام الكثير من الشبان الجزائريين على وجوههم، منهم من فر إلى الريف في المغرب الأقصى ، و منهم من فر إلى تونس ، و منهم من آثر أن ينتقل بين الجبال و الوديان داخل الوطن.

" و هناك هجرة أخرى سيطرت على المجتمع الجزائري طوال هذه الفترة و تعود أسبابها إلى فقر الفلاحين الجزائريين الذين سلبت أراضيهم الخصبة ، ثم لم يجدوا أبواب العمل مفتوحة أمامهم ، فاضطروا إلى طلب الرزق بواسطة هذه الهجرة التي كان متجهها واجهة واحدة، هي الديار الفرنسية وقد ابتدأت هذه الهجرة الاقتصادية بمهاجرة عدد قليل من العمال الجزائريين خلال سنة أربع عشرة و تسعمائة و ألف ، و لكن عددهم لم يلبث أن ارتفع و ظل في نمو متزايد

إلى أن بلغ خلال سنة أربع و خمسين و هي السنة التي قامت فيها الثورة الجزائرية الكبرى ، أكثر من مائتين و خمسين ألفا. وقد كان السبب الرئيسي الذي أدى إلى هذه الهجرات الاقتصادية، سوء الحالة الاقتصادية التي نشأت عن سوء في توسيع الدخل , و أدى انعدام العدالة في توزيع الدخل إلى إفقار الجزائريين و حرمانهم من العيش و وقوعهم في مخالب البؤس و الضنك."(1)

(1)المرجع السابق ، ص 25

و بالرغم من أن هؤلاء العمال – رجال و أطفال و نساء – كانوا يعملون في حقول المعمرين من شروق الشمس إلى غروبها – فإن الأجر كان زهيدا جدا و كان يتمثل في كثير من الأموال في نيل مقدار ضئيل من الشعير.

من أجل كل ذلك هاجر العمال الجزائريون إلى فرنسا ، و كانوا يرون في هذه الهجرة على ما فيها من مذلة وآلام نعيما مقيتا ، إذ قاسموا(قارنوا) حالهم بحال الجزائريين الذين كانوا يعملون في مزارع المعمرين على وجه النهار بالأجر الزهيد و تحت وطأة الذل الشديد.

" بيد أن الهجرة إلى فرنسا لم تكن دائما في ظروف طيبة حيث أن المهاجرين الجزائريين كانوا ينزحون عن وطنهم و أسرهم أملا في كسب الرزق ، ورغبة في نيل القوت ، ولكنهم كانوا يصطدمون بصعوبات في كثير من الأحيان ، فتضيق بهم السبل ، و يتعرضون للبطالة التي فروا منها. فإذا الحشف وسوء الكيلة إلا أنهم وقعوا بين مخالب البطالة أولا، وسقطوا في فخ الغربة ثانيا، وقد يحصلون على العمل بدون صعوبة تذكر، و لكنهم يجدونه شاقا جدا عليهم. لما فيه من حمل للأثقال ، أو لما فيه من تعرض لنيران الأفران، يصحب ذلك في المعامل استنشاق الغاز حتى تمتلئ الرئتان منه ، فكان العمال الجزائريون في فرنسا يشقون في جميع الحالات . وكان ذلك يؤثر على أحوالهم الصحية، فيهاجرون أصحاء أقوياء أشداء، و يؤوبون إلى وطنهم مرضى في كثير من الأحيان ، فمعظم المهاجرين كان يذهب سليما و يعود سقيما، فانعكس كل هذا مع الحياة الاجتماعية خلال هذه الفترة، بالإضافة إلى الاضطراب الذي كان يضرب الأسرة أثناء غياب صاحبها في فرنسا, و قد لا يعود المهاجر بعد هذا الزواج أبدا"(1)، فيستحيل الرجاء إلى خوف و ينقلب الأمل إلى يأس رهيب.

(1)المرجع السابق ، ص 26

و إذا كانت عوامل هذه الهجرة إلى فرنسا اقتصادية ، فإن المجتمع الجزائري لم يفد منها فائدة ذات بال، بل نشأت عنها مضاعفات اجتماعية خطيرة أخرى، كتشتت الأسرة الواحدة، و حرمان الطفل من رعاية أبيه و توجيهه ،لأنه مضى عنه إلى الديار الفرنسية، وبينما كانت هجرة الأصليين في الجزائر تمضي على قدم و ساق إلى فرنسا ، كنا نرى هجرة أنشط منها و أقوى و هي هجرة الأوروبيين إلى الجزائر ، و بينما كنا نرى العمال الجزائريين يهاجرون إلى فرنسا، مع أمل الإياب بعد الكسب و الغنم، كنا نجد الأوروبيين يهاجرون إلى الجزائر ابتغاء الاستيطان المؤبد ولعل هجرة الأوروبيين إلى الجزائر هي التي سببت هجرة الجزائريين إلى فرنسا.

و أهم النازحين الأوروبيين إلى الجزائر كانوا أساسا من الفرنسيين ثم يتلوهم في النسبة : الإسبانيون و الإيطاليون و المالطيون.

و بينما كان العمال الجزائيون لا ينالون القوت في فرنسا ، إلا بالعرق المصبوب و الجهد المبذول ،نجد الأوروبيين يفدون على الجزائر فيجدون تسهيلات خيالية و يجدون جميع أبواب الرزق العويضة مفتوحة ، إن شاءوا ولجوا من هنا و إن شاءوا ولجوا من هناك، دون تعب مذكور، كان حظ الأوروبيين في الجزائر محدودا، أما حظ الجزائريين في فرنسا فكان حظا منكودا ، فكانت الجزائر بالقياس إلى المستوطنين الأوروبيين فردوسا منشودا.

2-"الصراع الطبقي بين السكان : في هذا الشأن نتحدث عن أصول هؤلاء السكان الذين كانوا يشكلون طبقات اجتماعية متصارعة بحكم الاختلاف في العرق و ذلك الاختلاف أنشأ جوا فيه كثير من الحدة و فيه كثير من الصراع الذي كان يبلغ في بعض الأطوار مبلغ الحقد و الضعيفة, فالسكان الأصليون الدين هم الأمازيغ و العرب غلبوا على أمرهم، فأصبحوافي المنزلة الأخيرة من العناية، و بالرغم منها ألحق الاستعمار بهؤلاء من مذلة و هوان ،فقدحاول أن يصطنع سبلا

أخرى لإضعافهم و تمزيق حبل المودة بينهم، وذلك ببث النزعة القبلية في أنفسهم لكنه فشل في مسعاه لأن علماء زواوة جاؤوا إلى هذه المحاولة الاستعمارية فأحبطوها إحباطا و بذلك ظلت جبال المودة معقودة بين العرب و إخوانهم الأمازيغ تجمعهما النزعة الجزائرية ، و توحد بينهما الرابطة الوطنية ، و تؤلف بين قلوب الطرفين العقيدة الاسلامية ، و يضاف إلى هذا العنصرين المسلمين في الجزائر عنصر الكورغلي بيد ان هذا العنصر اضمحل لأنه ذاب في العنصر الجزائري ذوبانا تاما ثم يأتي العنصر الزنجي غير أنه قليل و أغلبيته تقطن الجنوب الجزائري." (1)

(1)المرجع السابق , ص 28

تلكم هي العناصر الأساسية التي تشكل السكان المسلمين الأصليين في الجزائر و بالرغم من

تشكل خلافات بين هذه العناصر إما في اللون أو العرق أو اللغة و إما في بعض العادات والتقاليد فإنها كانت كالجسم الواحد الذي استطاع أن يقاوم طوال عهد الاحتلال ، و كانت هذه العناصر الأصلية تشكل في الحقيقة طبقة اجتماعية واحدة يمكن للباحث أن يقرر أنها كانت بسيطة في معيشتها مضطهدة في حياتها السياسية ، محرومة في حياتها الاجتماعية من كثير من الحقوق التي كانت تستمتع بها عناصر السكان الأخرى من الأوروبيين المستوطنين .

"أما اليهود فقد أصبحوا فرنسيين بحكم قانون رابع و عشرين أكتوبر سنة 1870 القاضي بمنح يهود الجزائر الجنسية الفرنسية ، و لكنهم أمسوا مصدر قلق المعمرين الأوروبيين لأنهم نافسوهم في الهيمنة على الأرزاق و الخيرات ، و لكن اكتسابهم للجنسية الفرنسية ما كان ليفقد اليهود خصائصهم الشخصية فضلوا محافظين على يهوديتهم من حيث الديانة ، و من حيث السلوك الاجتماعي ، حيث يشكلون طبقة في الجزائر من أهم مميزاتها السيطرة على التجارة و الهيمنة على الصناعات المختلفة"(1) .

(1)المرجع السابق , ص 29

" أما الأوروبيون فكانوا يتألفون من جنسيات مختلفة أهمها الفرنسيون و الإسبان و الإيطاليين و المالطيين، وكانت النسبة العالية من الفرنسيين طبعا، و كان الأوروبيين على اختلاف أعراقهم و معتقداتهم يمثلون طبقة واحدة كبيرة تمتاز كلها بشدة التدين و التعصب للمسيحية و الكنيسة. فالرباط الذي يربط بينهم ويوحدهم هو رباط المسيحية ، و يليه رباط العنصرية اللاتينية ، و الذي يبحث في أمر هذه الطبقة الأوروبية يجدها أوروبية في كل شيء في : اللغة ،الذوق ، العادات و التقاليد ، و قد حاولت هذه الطبقة أن تجعل من كل ذلك مظهرا عاما يشمل الجزائر كلها ، بيد أن ذلك ظل محدودا بحيث لم يجاوز الطبقة الأوروبية وحدها ، ولم يؤثر التأثير المرجو في السكان الأصليين و من العوامل التي أدت إلى انعدام هذا التأثير الأوروبي ، تمسك الجزائريين بشخصيتهم الوطنية تمسكا متينا أولا ، ثم وجود النزعة العنصرية في سلوك الأوروبيين و تفكيرهم ثانيا ، فكانت شهب التأثير الأوروبية سرعان ما تخمد نارها، وتنعدم آثارها ، و ذلك بمجرد اتصالها بالجو الاسلامي المنيع وقد كانت هذه المناعة تغضب الأوروبيين و تملأ قلوبهم حقدا و كان هذا الحقد يتجلى في محاربة الثقافة العربية و الكيد لها."(1)

و الحق أن هذه الطبقة هيمنت على المجتمع الجزائري و لاسيما في المدن الكبرى سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا ، ولكنها فشلت فشلا ذريعا ، فظلت هيمنتها قاصرة على المدن التي كانت مستقر هذه الطبقة.

(1)المرجع السابق , ص 30

أثر هذه الجوانب في الاتصال الأدبي بين الجزائر و فرنسا

ولد الأدب الجزائري و تطور في شكل قصة و شعر و مسرحية و مقالة و يعتبر ذلك الأدب ردا رائعا على محاولات الاستعماريين تصفية جميع تقاليد و قيم ذلك الشعب الثوري، ولم يكتب أولئك الكتاب الجزائريون ذلك الأدب باللغة الفرنسية لأنهم فقط قد تعلموا بالمدرسة الفرنسية أو اتصلوا بالأدب الفرنسي بل لأنهم عاشوا حقيقة الشعب الجزائري و أرادوا التعبير عن ذلك الواقع بل محاولين بذلك بث التقاليد و القيم و المحافظة على كيان الأمة و وحدتها ، لقد عاشوا حياة الشعب الجزائري القاسية في ظل الاستغلال الاستعماري ، و قد انفتح ذلك الأدب على جميع الصلات الزاخرة القومية مع الأدب الفرنسي و استمد من الأدب الفرنسي التقدمي تلك الموضوعات التي تتجاوب و متطلبات تطوره و تعبيره عن الثورة ، لقد انفتح على جميع اتجاهات ذلك الأدب و الذي في مسيرة تطوره الطويل قد تأثر بتجارب أمم و شعوب كثيرة اتصل بآدابها و ثقافاتها على مر العصور.

و تلعب الصلات الأدبية الوفيرة مع الآداب المتطورة دورا هاما وخاصة بالنسبة للآداب القومية التي أوقفت تطورها ظروف تاريخية خاصة حيث تجد تلك الآداب الإجابة على جميع متطلباتها و حاجاتها في بداية تطورها

" و مع ظهور حركات التحرر و تعاظم الحركات الاجتماعية و تطور ديمقراطية الجماهير ، اتخذ دور العلاقات الأدبية أهمية عظيمة بالغة في الإسراع في تطوير آداب تلك القوميات التي تخوض حربا تحريرية ، فالعلاقات التاريخية و التأثيرات المتبادلة بين أدبين قوميين تعمل على إسراع إنضاج العملية الاجتماعية و الأدبية لهاتين القوميتين ، ولم تعد العلاقات بين أوروبا و الشرق مجرد صدفة بل أخذت مع مرور الأيام تحتل مكانا كبيرا في ميدان التطور الفكري ، وتتعاظم تلك العلاقات في فترة وصولتطور العلاقات الرأسمالية مرحلة العالمية على الصعيدين السياسي و الاقتصادي وتطور علاقات الانتاج الذي تنتج عنه مختلف العلاقات بين الأمم، وليس فقط على الصعيد المادي، بل وكذلك على الصعيد الفكري ، ونحن نرى أن الأدب الديمقراطي لذلك البلد الذي يعيش تطورا ثوريا متعاظما يكون أكثر تقبلا لآداب تلك الشعوب التي عاشت نفس تلك الفترة التاريخية و التي تستخدم لإذكاء حركات التحرر ، ويمكن بذلك اعتبار أي أدب قومي يظهر في فترة تعاظم الثورة التحريرية ليس فقط كخطوة في تطوير الثقافات القومية بل و كظاهرة فنية و دولية لعصر الثورة."(1)

(1)سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، دراسة أدبية و نقدية

" و الأدب الجزائري الوليد قد اتصل اتصالا وثيقا بالأدب الفرنسي و لأن ذلك الاتصال لم يكن في ظروفه الطبيعية فإن تأثيره قد اتخذ شكلا فريدا لم يتخذه اتصال الآداب القومية الغربية الأخرى بذلك الأدب الفرنسي نفسه و في نفس تلك الفترة التاريخية ,فقد عاشت الجزائر ظروفا استثنائية حاولت فيها فرنسا إسدال ستار كثيف على ماضي وتراث الشعب الجزائري وفرضت ثقافتها و أدبها ولغتها فرضا على ذلك الشعب، كما أن الخبرة الثورية التي وجدها الكتاب الجزائريون في تقاليد الأدب الفرنسي نفسه من المشكلة الجزائرية والذي ساعد في صراعه ضد النظريات الرجعية في الأدب على إغناء الأدب الجزائري الديمقراطي في موضوعاته"(1)."ويمكن تقسيم ميدان الأدب الجزائري إلى فترتين: فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية و فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهو في مجموعه أدب يعبر عن لحظة تاريخية من التحويل الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي للمستعمرة . حيث أن أدب هؤلاء الكتاب الجزائريين أدب يستغرق الأحداث الهامة التي عاشتها الأمة الجزائرية في تلك الفترة من فترات تاريخها المرير، ففترة ما قبل الحرب العالمية الثانية تبتدئ بالمواجهة الثقافية المتمثلة في ظهور العلماء سنة إحدى وثلاثون وتسعمائة و ألف حيث نضج الحياة العامة بمرور قرن واحد مع وجود الاستعمار، وفي السنة المذكورة أعلاه تأسست جمعية العلماء المسلمين حيث جعلت وجود الاستعمار في قلق و اضطراب فقد أقلقت هذه الجمعية الاستعمار و نغصت عليه وجوده، وهذه الفترة تعتبر من الناحية الأدبية ، قمة النهضة الثقافية في تاريخ وجود الاستعمار الفرنسي بالجزائر."(2)

(1)سعاد محمد خضر ، المرجع السابق ، ص 130

(2) عبد الملك مرتاض , فنون النثر الأدبي في الجزائر، سبق ذكره ، ص 31

"ومن أشهر أعلام الأدب الجزائري الحديث في ميدان القصة : محمد ديب ، مولود معمري ، مولود فرعون ، كاتب ياسين ، مالك حداد ، مصطفى لشرف ، آسيا جبار ثم مراد بوروبون ، أما في ميدان الشعر ، فقد برز كذلك محمد ديب و كاتب ياسين و جون سيناك و هنري كريا ومارسيل موسى و كذلك جون عمروشي الذي قدم لنا روائع الشعر البربري.

ويلعب الشعر كذلك دوره في المسرح لدى هنري كريا ثم كاتب ياسين و الذي يعتبر أول من يمثل المسرح الجزائري الحديث و الذي اتخذ له أداة تعبير اللغة الفرنسية، وقد كان الشعر هو اللغة الوطنية التي يتعامل بها الثوار في المعسكرات وفي سوح القتال ، إنه لهيب المعركة و الشاعر بدوره يساهم بشعره في صناعة التاريخ، تاريخ الشعب و ثورته، إنها أغاني مليئة بحب الوطن عامرة بالتضامن بها إلى أعلى قمم شعرية"(1).

(1)سعاد محمد خضر. الأدب الجزائري المعاصر ، المرجع السابق ، ص131

الفصلالثاني

الرواية الجزائرية بعد قيام الثورة.

ا- ظهورها و مؤثراتها وعلاقتها مع الرواية الفرنسية

ب- أبرز رواد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي

ج- عوامل ظهور الرواية الفرنسية الجديدة

د- اعلام الرواية الفرنسية

ه- ارتباط الرواية الجزائرية بالمقاومة

- الرواية الجزائرية بعد قيام الثورة

يتميز الأدب الجزائري الحديث عن بقية آداب اللغة العربية في العالم العربي ، بخاصية منفردة قلما نجدها تجتمع في أدب العروبة قديما و حديثا, ويتمثل ذلك التمايز في جملة من الخصائص المركبة المعقدة ، أنبتتها صيرورة تاريخية لا مناص منها ، تدخلت في تشكيل الأدب الجزائري على مر العصور ثلاث عناصر : العنصر المحلي و العنصر العربي ، و العنصر اللاتيني الفرنسي ، و انصهرت العناصر الثلاثة لغة و حضارة عبر التاريخ ، ثم لبست حلة عربية في مرحلة استرداد السيادة الوطنية في الربع الأخير من القرن العشرين .

" التقت العناصر الثلاث : لقاء الصراع و التفاعل و الاندماج ، وأثمرت في النهاية أدبا 'جزائريا ' قبل أن يكون لاتينيا فرنسيا، و إن نطق باللاتينية الفرنسية ، وقبل أن يكون عربيا أو وطنيا أو محليا, و إن نسج أحداثه وشخوصه من عبقرية الأرض و العروبة ، وبناء على هذا التركيب العجيب توحدت عناصر اللغة و الفكر و البيئة و التاريخ و الإنسان الجزائري في صورة شديدة التعقيد و الثراء ، تولدت عنها صورة الأدب الجزائري المعاصر ، الذي تعددت منابعه وتباينت أصوله ومشاربه، لكنها تصب جميعها في محيط أشمل ، يتسع لكل الروافد , محيط الثورة الجزائرية التي انصهرت فيها كل التيارات الفكرية واللغوية ،وتخصبت فيها كل الكفوف الجزائرية بالدماء ، مثلما تخصبت بالحناء في عرس الاستقلال و نيل الحرية."(1)

فعندما تندمج الروح الشرقية للجزائر بالثقافة الفرنسية ، التي يستخدمها الكتاب الجزائريون تكون النتيجة أدبا أصيلا ، فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربية عديدة تميزه، يختلف عن الأقطار العربية, حيث لم يكن للاستعمار تأثيرا مشابها على التعليم و الثقافة، بل أن التفكير

الجزائري ذاته يعتبر مختلفا ومتباينا ، حيث أنه يشكل مزيجا من العقلانية والمنطق والشاعرية , ولا يمكن لهذه العناصر المتناقضة, أن تكون جميعها وليدة ثقافة واحدة، فالجزائري بطبيعته يملك الروح الشاعرية و المتدينة، وقد تحصل من ثقافة المستعمر على المنطق والعقلانية.

(1)حنفاوي بعلي , أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية

الجزائر – دار الغرب للنشر و التوزيع , 2004 ، ص 155 – 156

" أقبلت الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية في العشرينات ، تحمل في تضاعيفها هذا التاريخ المثقل بالتنوع والثراء وبالصراع والمقاومة الأمر الذي يفسر غلبة طابع المقاومة على الانتاج الروائي الجزائري.

أ - ظهورها و مؤثراتها و علاقتها مع الرواية الفرنسية :

شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية و لغوية متميزة ، و أثارت بذلك حولها جدلا كبيرا بين النقاد و الدارسين منهم من عدها رواية عربية باعتبار مضامينها الفكرية و الاجتماعية و الكثرة عدوها رواية جزائرية مكتوبة بالفرنسية ، باعتبار أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي بها يكتسب الأدب هويته ، ثم أن الكتابة الروائية بالفرنسية قد ساهمت في نمو الأدب الفرنسي ، أكثر ما ساهمت في إخصاب الأدب العربي ، ولذا نحن عندما نقف عند هذه الظاهرة المتميزة ، فإننا لا نفعل أكثر من إعطاء فكرة عن نشأة هذا الفن في ظروف حرجة في الجزائر أو في المغرب العربي عموما .

نذكر أن الرواية في الجزائر بدأت بمرحلة المثاقفة و المحاكاة ، عندما أخذ بعض الكتاب الجزائريين يستعملون اللغة الفرنسية للحديث عن المشكلة الجزائرية و عن آلام الجزائريين ، وكذلك للدفاع عن مختلف وجهات النظر السياسية (الاندماج ، الحرية ، المساواة ، الحقوق) في الصحف و بعض المذكرات ."(1) و قد بدأ الاهتمام بالذات الجزائرية ، وبشكل خفي التحضير للمعركة خاصة منذ سنة 1920 م ، حيث كثرة التساؤلات أين و أنا نريد أن نكون جزائريين و فرنسيين في الوقت نفسه ؟

(1) حنفاوي بعلي ، المرجع السابق ، ص 158

" إن بعض الكتاب الجزائريين في هذه المرحلة قد اعتبر نفسه مواطنا فرنسيا مندمجا ، وبعضهم الآخر قاوم من أجل تنظيم شخصي يتمسكون به، و هم على وعي تام بالوضعية التي تسود فيها الالتباسات و سوء التفاهم ، أما روايات هذه المرحلة فقد كانت ضعيفة ومغيبة،فكتابها كانوا ينسخون ويقلدون لأن الأمر بالنسبة لهم كان يعني أن يظهروا بأنهم يستطيعون الكتابة بفرنسية جيدة ، بدون ارتكاب أخطاء و بأسلوب أكاديمي و بتعبير جميل ، فقد كانوا يرون مجتمعاتهم من الخارج بكيفية مجردة و بعيون الآخرين هذا دون أن ينسوا امتداح جميل ' الوطن الأم' فمواضيعهم كانت تحمل إشارات لبعض القضايا الأخلاقية(السكر ، مظاهر القبح الاستعماري)فكانت أعمالهم مهدبة للأخلاق و فلكلورية إلى حد ما، و كانوا يتمسكون بالسطحية التي لا تعتبر من أعماق الأنا."(1)

" لقد ظهرت اثنتا عشررواية خلال الفترة 1920 – 1947 ، و أهم هذه الروايات رواية ماري لويز عمروش ' السوسة السوداء ' (1947) ، وأن أهم اسم ظهر في هذه الفترة هو 'جان عميروش' المولود سنة 1906 في الجزائر ، و الذي توفي في باريس عام 1962 وقد التزم جان عميروش روحا و جسدا طيلة حرب الجزائر بشرح قضية الجزائر لفرنسا و شرح فرنسا للجزائر . إن هذه النصوص الروائية شكلت فيما بينها المتن الجزائري الأول ، الذي يصور الإنسان العربي الإفريقي بعين تحقيرية و متخوفة حيث أن وضعية هذه الموجة تشبه حالة النساخين لأساليب الكتابة الروائية التي مارسها الكتاب الفرنسيون". (2)

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : ألفونس إيتيان دينيه، ولد في 28 مارس 1861 في باريس ، توفي في 24 ديسمبر 1921 باريس. رسام مستشرق فرنسي سافر إلى الجزائر التي قدم إليها لأول مرة سنة 1884 ، و عاش منتقلا بينها و بين فرنسا حتى استقر في بوسعادة سنة 1913، و أشهر فيها إسلامه ، دونت أعماله في معجم لاروس Larousse ، تزدان جدران المعارض الفنية في فرنسا بلوحات، و منها لوحته الشهيرة (سحور رمضان) و قد أبدع في رسم الصحراء.

ألف بعد إسلامه العديد من الكتب القيمة منها : ' ربيع القلوب '، ' الشرق كما يراه الغرب ' ، ' محمد رسول الله ' .

(1)المرجع السابق ، ص 159

(2)المرجع نفسه

كانت كتابات هذه الموجة من الروائيين ' الأهالي ' تتميز بنسخية واضحة ، قدمت الانسان الجزائري في صورته الفلكلورية السياحية الاستهلاكية ، كما النص نفسه من حيث البناء الجمالي ، لم يتخلص من كتابة مغامرات مبسطة و تافهة ، و حكايات و دسائس غرامية بين الأهالي و الفرنسيات و المسلمات ، إذ تصور الانسان الجزائري غريزي ، ساذج طيب ، وخبيث دموي.

لقد كانت هذه الموجة من الكتاب متوجهة إلى الآخر ، تطرح مشكلات وهموم ، لا تعدى أن يكون هذا الجزائري إطارا و موضوعا للتسلية و الفلكلور بمفهومه الاستهلاكي التحقيري.

" بدأت الحركة الروائية الجزائرية باللغة الفرنسية ، تؤسس لنفسها متنا هو مرآة لذاتها ، لطموح الانسان في هذا الشمال الافريقي الذي بدأت الحداثة تهزه على لعلعة مدافع هتلر ، و تؤسس الحركات الوطنية ، و كان على منتجي الرواية باللغة الفرنسية ، خلق مسافة لتأمل التاريخ ونقد الذات ، و نقد الآخر ، فمن خلال هذه المسافة بدأ الإعلان عن نص روائي جديد . يبشر بإنسان جديد و بعقل جديد ، وقلب موازين البطولة الروائية ، فإذا كان الآخر 'الفرنسي' هو المركز في الرواية الكولونيالية ، و 'الأنا' أي الأهالي هو الهامش ، وفي هذا النص الجديد ولد إنسان جديد."(1)

ففي سنة 1942م أنهى الكاتب الجزائري علي الحمامي روايته بعنوان ' إدريس ' التي توصف على أنها كتاب محرر في شكل رواية ، و هذه المحاولات من الناحية الفنية ، تعد أقرب إلى القصة الطويلة منها إلى الرواية الفنية.

(1)المرجع السابق ، ص 160 – 161

ب – أهم رواد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي:

بالرغم من المحاولات الأولى البسيطة في التأليف الروائي باللغة العربية في الجزائر مع رضا حوحو (غادة أم القرى) 1947 ، و عبد المجيد الشافعي (الطالب المكتوب) ، و نور الدين بوجدرة (الحريق) إلا أن الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي تعتبر سابقة تاريخية من حيث الظهور عن مثيلاتها المكتوبة باللغة العربية حيث شهدت سنوات الخمسينيات من القرن الماضي ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي.

حيث تعبر سنة 1950 م سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على يد كوكبة من الروائيين اللذين تعلموا في المدرسة الفرنسية و حصلوا نصيب وافر من الثقافة الفرنسية دون أن يفقدوا إحساسهم المرهف بنبض مجتمعهم الذي كان يعيش وقتها حركية استثنائية على جميع الأصعدة (سياسية , ثقافية ، اجتماعية).

-مولود فرعون (1913 – 1962)

" ولد في قرية تيزي هبيل بولاية تيزي وزو بالجزائر يوم 18 مارس 1913 من عائلة فقيرة ، اعتبر مولود فرعون لفترة طويلة نموذجا للكاتب الجزائري باللغة الفرنسية من الجيل الأول، نشر عام 1950م ' ابن الفقير ' ، وفي سنة 1953 م ظهرت له رواية الأرض و الدم ، وفي عام 1957 الدروب الوعرة ، و صدرت يومياته سنة 1969 م في كتاب مستقل يحمل عنوان رسائل إلى الأصدقاء . و أخيرا نشرت روايته ' الذكرى ' عام 1972 م.

و قد كانت ابن الفقير روايته الأولى و لا تزال أول عمل أدبي يبدأ به كل تلميذ جزائري اطلاعه مع الأدب الفرنسي ، و كان فرعون يلفت انتباه مواطنيه كلما أصدر كتابا جديدا ، و كان أنداك معلما قرويا انتقل للعمل في العاصمة قبيل هلاكه المأساوي على يدي غلاة الاستعمار الحانتين ، فقد اغتيل من قبل OAS ، فبات رمزا لجمهور غير مطلع بالضرورة ، لكن ومنذ ذلك الحين لم يتردد المثقفون الوطنيون من مهاجمته لأنه أشاذ بإنسانية المدرسة الفرنسية التي بدت و كأنها خشبة الخلاص في ابن الفقير ، سواء في خاتمة تلك الرواية أو على صعيد مراجعها الثقافية التي يستند إليها في كتاباته."(1)

" أما عن مسيرة حياته فقد ولد في عائلة فقيرة ، اضطره فقر أباه إلى الهجرة مرات عديدة بحثا عن العمل ، لكن هذا الفقر لم يصرف الطفل و لا أسرته عن تعليمه فالتحق بالمدرسة الابتدائية في قرية تاوريت موسى المجاورة ، فكان يقطع مسافة طويلة يوميا بين منزله و مدرسته سعيا على قدميه في ظروف صعبة ، فتحدى ظروفه القاسية و المصاعب المختلفة بمثابرة و اجتهاد ، وصراعه مع واقعه المرير تحت الاستعمار الفرنسي ، و بهذا الصراع استطاع التغلب على كا المثبطات و الحواجز مما أهله للظفر بمنحة دراسية للثانوي بتيزي وزو أولا و في مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة' بعد ذلك و رغم وضعه البائس تمكن من التخرج من مدرسة المعلمين ، و اندفع للعمل بعد تخرجه ، فاشتغل بالتعليم حيث عاد إلى قريته تيزي هبيل

(1)جمال الدين بن الشيخ ، معجم آداب اللغة العربية و الأدب الفرنكفوني المغاربي

ت : مصباح عبد الصمد ،ط1 ، بيروت، مجد للمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008 , ص 363

التي عين فيها مدرسا سنة 1935 م في الوقت الذي يتسع فيه عالمه الفكري و أخدت القضايا الوطنية تشغل اهتمامه ، هذا و كان أعطى أطفال قريته كل ما يملكه من علوم و أفكار لتنمية عقولهم نحو حب الوطن و التضحية من أجله بالغالي و النفيس ، وعين بسنة 1952 م في إطار العمل الإداري التربوي ، أما في سنة 1957 م التحق بالجزائر العاصمة مديرا لمدرسة 'نادور'، كما عين في 1960 مفتشا لمراكز اجتماعية كان قد أسسها أحد الفرنسيين في 1955 و هي الوظيفة الأخيرة التي اشتغل فيها قبل أن يسقط برصاص الغدر في 15 مارس 1962" .(2)

" وتعتبر رواية ابن الفقير إلى حد بعيد سيرة ذاتية تصدف طفولة الكاتب و مراهقته ، كما تغطي الرواية السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى لتصل نهاية العشرينات ، و تناول مولود فرعون في رواية الأرض و الدم أول مرحلة من عملية هجرة سكان شمال إفريقيا للعمل بسبب الوضع الشاق للعمال و الفلاحين في المستعمرات ، وتقع أحداثها في الفترة الواقعة ما بين الحربيين العالميتين في عام 1930، وشعر بأنفاس التغيير ابتداءا من الصفحات الأولى في رواية الدروب الوعرة و هي رواية عاطفية حيث نجد قرويا منعزلا في قرية قبائلية نائية ، يكتب مذكرات لا حاجة لأحد بها في وقت يقوم فيه جميع المثقفين الجزائريين بالثورة."(3)

مما سبق نقول أن فرعون سيظل متمثلا نموذجيا لجيله جمع في ذاته عالمين و ثقافتين ، ومثالا للفنان المخلص و الشجاع الذي نجد في إبداعه أول محاولة جدية لتصوير حياة وطنية ، وشعبه بموضوعية ، وطرح المشاكل والتناقضات التي زخرت بها مرحلة يقظته الوعي الوطني للجزائريين ، تلك المرحلة المرتبطة بالكفاح من أجل الاستقلال فهو من قال ' أكتب بالفرنسية ، وأتكلم الفرنسية ، لأقول للفرنسيين أني لست فرنسيا ' .

(2)ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، كتبها ضيفي فوضيل في 30 مارس 2008

http :// ar . wikipedia .org / wiki : 08/11/2010

(3)حنفاوي بعلي ، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، المرجع السابق، ص 167

- مولود معمرى : (1917 – 1989)

" ولد في 28 ديسمبر 1917 في تاورير ميمون (القبائل الكبرى) ، انتقل في الثانية عشرة من عمره إلى مدينة الرباط للدراسة التي واصلها بالجزائر ثم باريس ، مارس مهنة التعليم فكان أستاذ لغة و ثقافة بربرية في جامعة الجزائر العاصمة سنة 1962 . توفي في حادث سير لدى عودته من مؤتمر في جامعة وجدة (المغرب) . بعين الدفلى سنة 1989 م.

أدب معمري مزدوج اهتم كعالم اجتماع بالأدب البربري الشفهي في الجزائر فنشر سنة (1969)poèmes de si mhand ، وفي نفس السنة poèmes kabyles les isefra ، وفي 1980 نشر anciens و أهالي الغورار (1986) و نشر ككتاب أربع روايات الهضبة المنسية (1952) ، نوم المنصفين (1955) ، الأفيون و العصا (1965) ، والرحلة البحرية (1982) ورواية سبات العادل سنة (1952) ."(1)

و أعمال معمري تسير في خط متوازي مع تطور الوقائع السياسية في الجزائر ، " فرواية (الهضبة المنسية) تبتدئ وقائعها في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، لتصور الوضع في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي و يعبر الكاتب عن مآسي الشعب و أحزانه وبؤسه ،أما رواية (سبات العادل) فتأخذ البطل إلى داخل المجتمع العربي ، وهو مشبع بالآمال و التوقعات العظام ، بيد أن سرعان ما يرفض ، فيخرج من التجربة و هو يشعر بالمرارة و كأنه يسير في الفراغ .

أما رواية (العفيون و العصا) سنة 1965م ، و التي تمثل ظاهرة بالغة الأهمية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في عهد الاستقلال وهي أول نتاج أدبي عن الثورة الجزائرية ألفه كاتب ظل وفيا لمبادئ إبداعه الباكر قبل الحرب ، فالرواية تعنى بحرب الاستقلال ذاتها بمحاسنها و رغبها بأصدقائها و أعدائها" .(2)

(1)جمال الدين بن الشيخ ، المرجع السابق ، ص 481

(2)حنفاوي بعلي ، المرجع السابق ، ص 168

-كاتب ياسين : (1929 – 1989)

" ولد في زيغود يوسف إحدى بلديات مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري في 6 أوت 1929 ، بعد فترة قصيرة تردد أثناءها على المدرسة القرآنية وبعدها التحق بالمدرسة الفرنسية و زاول تعلمه حتى سنة 1948م، شارك في مظاهرات 8 ماي 1945 فسجن ، وعمره لايتجاوز 16سنة (ستة عشرة سنة) بعدها بعام فقط نشر مجموعته الشعرية (مناجاة) ، دخل عالم الصحافة سنة 1948 فنشر بجريدة الجزائر الجمهورية التي أأسسها رفقة ألبير كامو وفي عام 1951 تقلد منصب مدير المسرح بسيدي بلعباس ، توفي في 28 أكتوبر 1989 بمدينة غرونوبل الفرنسية ، نقل جثمانه و دفن في الجزائر ، و من مؤلفاته : مناجاة (شعر) سنة 1946م. أشعار الجزائر المضطهدة (شعر) 1948 م . نجمة (رواية) 1956 م، ألف عذراء (شعر) 1958 ، المضلع النجمي (رواية) 1966م ، دائرة القصاص (مجموعة مسرحيات) 1959م ، الرجل ذو النعل المطاطي 1970م " (1)

" وقد استقبل النقاد و المفكرون الفرنسيون هذه الرواية بحفاوة بالغة كما اعتبروا مؤلفها أحسن من يمثل مدرسة إفريقية ، ان نجمة بطلة الرواية الهاربة ، تمثل الجزائر الجديدة نفسها ، ولعله من المهم أن نلاحظ الدور الذي أعطاه المؤلف لفرنسا في خلق هذه الشخصية الجديدة فنجمة بنت امرأة فرنسية ولكن أباها الذي كان جزائريا غير معروف فالرواية تعرض المظالم السياسية و الاقتصادية في الجزائر فياسين مثله في ذلك مثل كتاب افريقية الشمالية ، يتحدث في روايته المظالم الكثيرة التي كان يعانيها وطنه ، وقد قال في استجواب بأن نجمة هي روح الجزائر الممزقة من البداية المهدورة شتى التوترات الداخلية ، فنجمة الغائبة و الحاضرة دائما هي التي يلاحقها أربعة أبطال (رشيد ، الأخضر ، مراد ، مصطفى) و مغامرات هؤلاء في البحث عنها تشكل إطار الرواية."(2)

(1): ويكيبيديا– الموسوعة الحرة :2010/11/13 ملف/http://ar.wikipedia.org/wiki '

(2)جمال الدين بن الشيخ ، المرجع السابق ، ص 401

" تبنى كاتب ياسين موقفا متميزا في كتاباته ، فهو يبحث عن الوطن الأم مشخصا إياه في شخص امرأة يسميها نجمة ، وتصبح الجزائر حقيقة مجسدة ، وتكون نجمة بمثابة روح البلاد التي تسري ، والحادثة التي أثرت في أعمال ' ياسين ' الأدبية هي مذابح سطيف ، وكانت الكتابة هي الأسلوب النضالي الذي اختاره في نصرة القضية الجزائرية ، و تعتبر الجزائر بالنسبة للكاتب الينبوع الثري الذي لا ينصب كمصدر إلهام فقد تناول تاريخها أثناء الاحتلالين التركي و الفرنسي ، منشغلا دائما بوجود الوطن وبقاءه."(1)

(1) المرجع السابق

-محمد ديب : (1920 – 2003)

" في مدينة تلمسان بالغرب الجزائري ولد محمد ديب سنة 1920م ونشأ في أسرة فقيرة ، حيث توفي والده ، وكفلته أمه ، و كابد الفتى مرارة اليتم و الفقر ، وشق طريقه في الحياة بعصامية وكابد في سبيل حصوله على العلم ، وتنقل بين عدة مدارس في الجزائر والمغرب فدرس في تلمسان ثم في مدينة وجدة بالمغرب ثم رجع إلى الجزائر فدرس في وهران و تلقى دروسه في مدرسة المعلمين ، ثم اشتغل بالتدريس و المحاسبة وصناعة السجاد ، وعمل مراسلا متخفيا بعض الوقت لصحيفة الجزائر الجمهورية جريدة الحزب الشيوعي الجزائري في ذلك الوقت.

وقد التقى محمد ديب في ذلك الوقت بعدد من كبار الكتاب الفرنسيين في سنة 1848م بالقرب من مدينة البليدة الجزائرية من أمثال ألبيرو كامو"(1) وغيره " الذي ولد يوم 7نوفمبر 1913 بمدينة الذرعان بالجزائر و توفي في 4 يناير 1960، مؤلف و فيلسوف فرنسي ، وواحد من النجوم الاجتماعيين لتيار الوجودية ، مثلت الحرب الجزائرية عام 1954 معضلة أخلاقية لكامو ، فقد تعاطف مع الأسر الفرنسية المستوطنة للجزائر ، ودافع عن الحكومة الفرنسية معتبرا أن الثورة في الجزائر جزء لا يتجزأ من امبريالية عربية جديدة بقيادة مصر، و أنها هجوم معاذ للغرب نظمته روسيا لتطويق أروبا و عزل الو.م.أ ورغم وقوفه لصالح مزيد من الحكم الذاتي للجزائر أو حتى إنشاء فدرالية جزائرية ، ولو لم يكن يرغب في استقلالها الكامل ، أعرب عن اعتقاده أن التعايش ممكن بين العرب و الأسر الفرنسية ، دعا إلى هدنة خلال الحرب الأهلية لتجنب إيداء المدنيين.

منح جائزة نوبل في الأدب عام 1957 لإنتاجه الأدبي المهم الذي سلط الضوء بجديته الواضحة على مشاكل الضمير الانساني في عصرنا هذا.تتلخص أعمال كامو في رواية الغريب (l'étranger) سنة 1942.الوباء أو الطاعون(la passte) سنة 1947.السقطة (la chute) 1956.الموت السعيد (la mort heureuse) كتب في الفترة (1936-1938) ونشر بعد وفاته في1971.

أما القصص القصيرة : المنفي و المملكة سنة 1957 ، المرأة الزانية la femme adultère المتمرد أو الروح الحائرة ، الرجل الصامت ، الضيف ومجموعة من المقالات و المسرحيات ، ومجموعات الأغاني "(2)

(1)أحمد سيد محمد ، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب،(محمد ديب ، نجيب محفوظ) الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989 ، ص 92

(2)2011/01/25 .ألبيركامو، ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، http: // arwikipedia

و عندما التقى بهؤلاء الكتاب نصحوه ووجهوه في متابعة كتاباته الأدبية ، ولد في هذا الميدان نشاط في الشعر و القصة و الرواية ، وتعد الثلاثية من أشهر أعماله ، فبعد ظهور الجزء الأول منها بعام واحد منح جائزة أدبية تسمى بجائزة (Fénelon) وبعض أعماله مترجمة إلى عدة لغات ، وقد قام بترجمة الثلاثية إلى اللغة العربي الدكتور سامي الدروبي ونشرتها دار الهلال بالقاهرة في سلسلة روايات الهلال على ثلاثة أجزاء وقد عرفت الجزائر نشاطا سياسيا ، وبعثا روحيا عظيما عاصره محمد ديب صبيا و شابا ، كما شهد فترة عصيبة من تاريخ الجزائر في علاقتها مع المستعمرين و المعمرين فقد جاءت أزمات الحرب العالمية الثانية لتزيد بؤس البائسين ، وعاش محمد ديب في إحدى الدور الكبيرة بمدينة تلمسان مع أسرته الفقيرة ، وعدد آخر من الأسر الفقيرة مثلهم ورأى في تلك المدينة حياة المعمرين و أدنابهم و آلام الفقراء ومن معين ذلك استوحى " (1)

ففي الجزء الأول من الثلاثية ' الدار الكبيرة ' الذي ظهر عام 1952م يعطي ديب وصفا صارخا لحالة الفقر المدقع الذي كانت تعانيه الطبقات العاملة في الجزائر ، ومن خلال ما سبق نجد أن محمد ديب يحكي حالة الفقر التي عاشها في روايته فمغامرات عمر هي نفسها مغامرات ديب.

أما الجزء الثاني الحريق الذي ظهر عام 1957م نقل محمد ديب فتاه البطل (عمر) إلى الريف حيث أصبح شاهدا على الفقر المادي و النفسي الذي كان يعانيه الفلاحون الجزائريون.

أما الجزء الأخير ' النول أو المنسج ' الذي ظهر عام 1957م فالمؤلف يعود بنا إلى المدينة ليبدأ عمر عمله كنساج زرابي مثل ما فعل ديب نفسه ، ويبدوا أن محمد ديب في ثلاثيته قد ركز على استرجاع الكرامة البشرية أكثر من تركيزه على أي شيء آخر.

تأثر محمد ديب إلى حد بعيد بالكاتبة فرجينيا وولف ،ولاسيما بكتابيها 'الأمواج ' و ' إلى المنارة' وأن وسيلة تيار الوعي لهذه الكاتبة هي التي تركت صداها العميق في روايته 'رقصة الملك'.

(1)أحمد سيد محمد – الرواية الانسانية ، المرجع السابق. ص 43 .

- مالك حداد :(1927- 1987)

شاعر و كاتب وروائي جزائري , ولد بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري وفيها تعلم ثم سافر إلى فرنسا ونال إجازة في الحقوق ، ولما عاد أصدر مجلة وشارك في الثورة الجزائرية .

" ظل مالك حداد يحمل مأساته المزدوجة فمن ' رصيف الأزهار لا يجيب ' إلى ' سأهبك غزالة' إلى ' الشقاء في خطر' ، هذا الهم المزدوج ' الاستعمار و اللغة ' هو الذي حدد مسار كل أعماله.

بالرغم من مأساة اللغة ظل هذا الأديب نقيا ، يعبر عن هموم وطنية وقومية و إنسانية ، برؤية تقدمية في شكلها العام ، تتمثل الرؤية الأكثر عاطفية تجاه ثورة التحرير في أعمال حداد فهي تعتبر مجموعة من العواطف و الأحاسيس ، أكثر منها مجموعة للأفكار والآراء تشكل رواياته قصائد تأثيرية ، تظهر فيها من حين إلى آخر تصريحات وطنية وحماسية ، وهو ينظر إلى الحدث كشاعر بقلبه قبل فكره، الحقيقة أن حداد له مفهومه الخاص للالتزام ، ففي روايته 'سأهبك غزالة ' يروي قصة حب بين سائق شاحنة وفتاة شابة ، تعيش في الواحة التي يتوقف فيها السائق ليستريح ، وهو في رحلته عبر الصحراء ، فالكاتب في رأي حداد لا يلتزم إلا شخصيات رواياته ، لكنه لم يهمل ثورة التحرير و المجاهدين ، اللذين كانوا يقاتلون من أجل تحقيق السعادة و الخير لشعبهم ، أو من أجل الغزلان" (1)

(1)أبو القاسم سعد الله – دراسات في الأدب الجزائري الحديث ط2 ، دار الآداب ، بيروت

1977م ، ص 107

" و تكاد تجسد رواية ' التلميذ والدرس ' لمالك حداد أعمق التوثبات الفنية المتناقضات الدامية التي يكتوي بها وجدانه ، وحداد يبدأ صياغته من الكلمة فالجملة إلى بقية النسيج الروائي ، ولا يفعل العكس: أن يحسم هيكلا روائيا للأحداث و الشخصيات والمواقف ثم يملأه بالكلمات . أي أن الشاعر ببساطة يسيطر على الروائي ، وتكاد الرواية في كثير من المواضع تتحول إلى قصيدة شعرية وهذا يفسر أن البناء الذي انتهت إليه هو ' المونولوج ' إن التلميذ والدرس في جوهرها مونولوج طويل ، فنحن لا نتعرف طول الرواية إلا على شخصية واحدة لهذا الطبيب الجزائري الكهل ، القاطن في إحدى المدن الفرنسية وحيدا بعد أن ماتت زوجته ، والمفارق الروائية التي ينطلق منها حداد هي أن الطبيب - الأب – حريص على إبقاء حفيده بين أحشاء الابنة – المناضلة – التي جاءت عليه راغبة في الإجهاض ، يكشف لنا حداد عن رمز البطولة في المقاومة الجزائرية من خلال هذه الرواية."(1)

وضع حداد في روايته الأب و ابنته وجها لوجه ، الابنة تعمل في صفوف المقاومة ، ومثل هذه المواجهة تعتبر مظهرا آخر لصراع الأجيال ، الذي تجلى واضحا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وفي الواقع فإن رواية حداد تعتبر الأفضل بين رواياته وهي الأكثر تماسكا وحيوية ومحتوى ، بالرغم أن الدور الكبير يتركز في معظمه على مشاعر الوالد وهو يفكر ويتأمل سلوك ابنته ، لقد اختار حداد منذ الوهلة الأولى أن يكون ' المنفي ' هو المهاد الذي يبذر فيه رموزه ، واختار أيضا ' جيل المنفى ' المعبرة عن رؤيا المقاومة في رواية ' التلميذ و الدرس '

دارت روايات حداد حول الثورة الجزائرية وتلمسها من قريب ومن بعيد في دوامة من المشاعر والعواطف ، هذا وأن شخصية الكاتب و الثورة تشكلان نبعا غزيرا لرواياته ، وحب الوطن يقوم بمثابة رباط الحياة ، الذي يربط كافة الحوادث ببعضها تأثر بالشاعر الفرنسي (آراغون) وكذلك بالفيلسوف برغسون الذي ترك أثرا واضحا على أعماله.

(1)المرجع السابق . ص 109

-آسيا جبار :

لقد كانت الظروف التي عاشت فيها الجزائر لا تحتمل المساومة , أو الوقوف في مفترق الطرق فكان لابد للكاتب أو الشاعر أن يختار طريقه ، ويحدد موقفه ، ويتحدد الموقف بالطبع انطلاقا من وجهة نظر الكاتب أو الشاعر الشخصية و الظروف التي نشأ فيها و المبادئ التي تربى عليها أي انطلاقا من موقفه الطبقي ومدى تفهمه لأعماق وأهداف المعركة ، ولذلك فإن آسيا جبار ، انطلاقا من ذلك الموقف ذاته قد حددت لنتاجها نفس ذلك الاتجاه الذي يعبر عنه نتاج مالك حداد ، إلا أنها تختلف عنه وتبتعد قليلا في قصتها الأخيرة ' أبناء العالم الجديد ' عام اثنان وستون وتسعمائة وألف ، وربما يعود عدم انفعالهما معا بحقيقة المعركة وعدم وجود انعكاسات لهذا الانفعال لأن كليهما كان خارج الوطن منذ بداية الحرب. فقد كان يعيش مالك حداد في سويسرا و آسيا جبار كانت في تونس إلى جانب موقفها الطبقي.

" ولدت آسيا جبار في الرابع من أغسطس عام ستة وثلاثون و تسعمائة وألف في مدينة شرشال وأتمت دراستها الثانوية في مدينة بليدة ، وواصلت بعد ذلك دراستها العليا و تخصصت في التاريخ والجغرافيا ومن تمت اشتغلت بالتدريس في مدينة الجزائر.

وكانت بداية حياتها الأدبية قد تميزت بنشرها بعض المقالات والقصص القصيرة والمقابلات الصحفية في بعض المجلات الدورية مثل ' لاكسيون '(العمل) ثم مجلة ' إفريقيا الناهضة'. ونشرت أول قصة لها عام سبع وخمسون وتسعمائة وألف (1957) وكان عنوانها العطش

La soif وكانت هذه القصة بالنسبة للكاتبة ' تجربة أدبية ' باعتراف الكاتبة نفسها، ثم نشرت قصة ' الجازعون ' والتي تعتبرها الكاتبة أحسن قصصها . وقد اختارت الكاتبة محيط البرجوازية الصغيرة في المدينة ، وهي وإن كانت قد تعرضت أحيانا لنماذج من أوساط أخرى فإنما لتوضع الصورة الت اختارتها لفتاتها البرجوازية. وقد برعت آسيا جيار في تصوير وعرض نموذج الفتاة البرجوازية بمشاعرها وأحاسيسها، وثورتها الكاذبة مع التقاليد .والتي لا تتعدى مجرد التفوه ببعض الاعتراضات على مواقف معينة يمليها الأب والأم ، ومع ذلك فقد أعطتنا صورة واضحة المعالم لتقاليد الأسرة الجزائرية والتي لا تختلف كثيرا عنها في الشرق سلطة الأب ، والدين ، ومصير الفتاة الذي يتقدر بعيدا عن إرادتها " (1)

(1)المرجع السابق , ص 212 - 214

" وعلى مدى أربعين عاما لم تنشر آسيا جبار سوى خمس روايات ، بحثت فيها جميعا عن جذور شعبها التاريخية و الاجتماعية ، فعندما نالت الجزائر استقلالها عام 1962 رجعت إلى بلادها تهنئها ، وهي تحمل تحت إبطها مسودة روايتها الثانية ' أبناء العالم الجديد ' كما ذكرناها سلفا ، وقد فتحت لها جامعة الجزائر ذراعيها فقامت بتدريس التاريخ ، ولكن الابداع كان يطارد الكاتبة ، فلم تهتم كثيرا بالتدريس ، وعادت عام 1967 إلى فرنسا لتنشر روايتها الثالثة 'القبرات الساذجة ' حول وضعية المرأة المسلمة في الوطن والمهجر.

ومنذ ذلك الحين تصدرت آسيا جبار الحركة النسائية العربية في شمال إفريقيا ففي عام 1986 حضرت مهرجان الثقافة الافريقية بالجزائر ، وقدمت مسرحية بعنوان ' الفجر الدامي ' وهي مسرحية مكتوبة بالفرنسية تتحدث حول سنوات الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وتعد روايتها الرابعة ' الحب والفانتازيا ' المنشورة عام 1982 م أشبه بقصيدة سيمفوني من خمس أغنيات مايو 1985 تصاحبها أصوات غناءه وطفولة امرأة تتحدث من بلادها في سنوات حرب التحرير."(1)

بالتالي فآسيا جبار كاتبة جزائرية تكتب بالفرنسية وهي نموذج لنساء عديدات تائهات بين حضارتين وقيل أنها حاربت الفرنسيين بالفرنسية ، أما بالنسب لعلاقتها مع الشخصيات النسائية في روايتها ، فهي تعترف بأنها أخفقت في الوصول إلى معرفتهن معرفة حميمية أو إقامة علاقة وثيقة معهن وتعزي تقصيرها في ذلك إلى اللغة , حيث أنها تصف باللغة الفرنسية حياة ومشاعر عربية صرفة.

(1)محمود قاسم ، موسوعة أدباء نهاية القرن العشرين ، ط1 ، القاهرة.

الدار المصرية اللبنانية ، 2000م ، ص 131

-مراد بوربون :

"ولد مراد بوربون في مدينة ' جيجللي Djijelli ' في الثالث و العشرين من يناير عام ثمانية وثلاثون وتسعمائة وألف ، وهو أديب ناشئ بدأ حياته الأدبية مع نهاية الحرب ، وبداية عهد الاستقلال ، ونشر كثيرا من القصائد تدور حول موضوع ' مولد العهد الجديد والعالم الجديد ' وإلى جانب قصائده العديدة نشر قصة واحدة فقط ' قمة الرتم"(1) عام 1962 ، ورغم صغر سنه فقد انتخب بعد الاستقلال رئيسا للجنة الثقافية لجبهة التحرير الوطني ، ثم رئيسا لتحرير جريدة المجاهد .

وفي قصته ' قمة الرتم ' يقدم لنا بوربون نماذج مختلفة من الناس ، ومن خلال مناقشاتهم التي تدور على مستويات مختلفة استطاع بوربون ببراعة أن يعرض لنا نماذج من مختلف الاتجاهات التي كانت تميز الجزائر عشية الثورة ، إذ تدور أحداث القصة في تلك الفترة التي سبقت إعلان الثورة المسلحة والتي انطلقت شرارتها الأولى في أول نوفمبر أربعة وخمسون وتسعمائة وألف.

وأسلوب الكاتب رصين ويبشر بمستقبل ، ولكننا نحس أن الكاتب متأثر جدا بكتاب الجزائر الآخرين ،وخاصة كاتب ياسين في الكتابة والعرض ، ولبوربون وجهة نظر خاصة تجاه مستقبل هذه الثقافة وضحها في مقالات عديدة نشرت في جريدة المجاهد وغيرها من الصحف والمجلات وذلك في معرض رده على مقابلة صحفية أجارتها مجلة ' العصور الحديثة ' للناقد الجزائري المعروف ' مصطفى لشرف ' وذلك الرد الذي كان فاتحة مناقشات ظريفة وزاخرة بين مختلف كتاب الجزائر حول مستقبل الثقافة الجزائرية والأدب الجزائري نشرت مع صفحات جريدة المجاهد وحيث حدد كل كاتب موقفه من الأدب ومن مشكلة التعبير بالذات ، وكان موقف الكتاب الجزائريين من اللغة الفرنسية يختلف الواحد عن الآخر فمنهم من اعتقد أنها مشكلة فعلا بل مأساة تمزق نفسه خاصة عندما يحاول ترجمة أفكاره وعواطفه ، العربية ليعبر عنها بالفرنسية كأسيا جبار مثلا أو مالك حداد . بينما نرى كتابا كمعمري وكاتب ياسين لا يشعرون مطلقا بتلك المأساة ولا بذلك الازدواج بل يعتبرون أن تمكنهم من اللغة الفرنسية إلى جانب العربية يعتبر ثروة تميز الفكر الجزائري وتفتحه على آفاق العالم الخارجي . وكذلك كان موقف الناقد المعروف ' مصطفى لشرف ' الذي يكتب باللغتين والذي يجابه تلك المشكلة بموضوعية وتفهم عميق لحقيقة وواقع بلاده ، أما بوربون مثلا فهو حينا يتحمس للغة الفرنسية وأحيانا أخرى إلى اللغة العربية ."(2)

(1)نوع من النباتات القرنية يستعمل في الزينة

(2)المرجع السابق ، ص 216 - 218

وترمي هذه المناقشات كلها التي دارت بين الكتاب الجزائريين إلى إيجاد الطريق وتوضيحه أمام الجزائر المستقلة لبناء ثقافتها ، ولكن لا يوجد سوى طريق واحد أمام الثورة ، فالأساس لن يتكامل إلا بمواصلة الثورة انطلاقا من واقع الجزائر ، وبمواصلتها في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع السواء .

" نستطيع القول بأن الأدب الجزائري الذي اتخذ اللغة الفرنسية أداة تعبير له والذي يستغرق الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى سنوات 1962 بأنه أدب بأنه أدب يمثل مرحلة تاريخية معينة من حياة الشعب الجزائري ، إنه أدب المعركة إذ يعكس أحداث تلك الفترة بتحولاتها التاريخية و الاقتصادية و الاجتماعية إلى جانب كونه سلاحا من أسلحة تلك المعركة ولكن ذلك لا يعني أنه لم يكن هناك أدب قبل ذلك التاريخ وأن الأدب الجزائري قد ظهر هكذا فجأة بعد الحرب العالمية الثانية فنحن نجابة نهضة أدبية في بداية القرن ، وقد ظهرت طائفة من الكتاب قد اختاروا اللغة الفرنسة كأداة تعبير لهم بسبب الظروف الاستثنائية التي عاشتها الجزائر في فترة الاستعمار ، وانتشار الأمية واقتصار التعليم على اللغة الفرنسية وآدابها وفرضها على الجزائريين وكذا حضارتها كل ذلك ساعد على ظهور كتاب يكتبون بلغة العدو "(1)وقد ذكرناهم سلفا .

(1)سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، دراسة أدبية ونقدية

صيدا بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، 1967 ، ص 81 – 82 .

-عوامل ظهور الرواية الفرنسية الجديدة .

" لقد ولدت الرواية الحديثة ، بالنظر إلى مضامينها ، من الصراعات الايديولوجية للبرجوازية الصاعدة ضد الإقطاعية المتدهورة ، ولكن المعارضة التي كانت قائمة إزاء عالم العصر الوسيط ، أي المعارضة التي تكاد تملأ الروايات الكبرى الأولى لم تمنع الرواية التي كانت في طور الولادة من تلقى كل مورث الثقافة الاقطاعية في ميدان السرد القصصي ."(1)

" ظهرت الرواية الجديدة في فترة مرت فيها الرواية الفرنسية بأزمة واعتقد فيها الجميع أنها تسير في طريق مسدود ، ورأى الجمهور أنها تبعث على الملل ومن الصعب فهمها وتفسيرها ، صحيح أن الرواية الجديدة استدعت انتباه ، وحضيت باهتمام المثقفين في عواصم العالم ، لكن الجماهير العريضة لاتزال تحن إلى الرواية القديمة التي تشمل على قصة وشخصيات ولا يختلف رد الجمهور الفرنسي كثيرا عن ردود فعل الجماهير الأخرى ، صحيح أن مؤلفات ناتالي ساروت و روب جزييه..... ترجمت في لندن وطوكيو ونيويورك والقاهرة وبيروت – على سبيل المثال لا الحصر – لكن النقاد استقبلوها استقبالا قاسيا أو فاترا ، أما الجماهير فلم تتحمس لها كثيرا ، قال البعض أن الكثير من هذه الروايات غامضة بحيث يصعب فهمها أو يستحيل مما دعا الكتاب إلى عرض ما يمكن أن يسمى بنظريتهم في الرواية الجديدة نذكر في هذا الصدد كتاب ناثاليساروت ' عصر الشك عام 1956 ' وكتاب : روب جريي ' من أجل الرواية الجديدة عام 1923 ' فقد تخلص الروائيون الجدد من أخلاقيات الأمس و إيديولوجياته ماركسية كانت أم مسيحية أم لا دينية وخلصوا الإنسان من كافة القيم أخلاقية كانت أم اجتماعية أم فلسفية خلصوه من القناع الذي ألبسه إياه الروائيون ، حتى القرن العشرين ، واستبدلوا كل هذا بقيمتين." (2)

(1) جورج لوكاتش ، الرواية ، ت مرزاق بقطاش . الجزائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 2001 ، ص 45.

(2) سامية أحمد أسعد , في الأدب الفرنسي المعاصر، القاهرة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1976 ، ص 16

" أساسيتين : الصراحة واللامعقول ، حيث لم تعد هناك موضوعات مباحة وأخرى محرمة لم تعد هناك موضوعات لائقة وأخرى غير لائقة ، الإنسان في الرواية الجديدة يتحدث بصراحة عن كل شيء : الدين ، السياسة ، السلطة ، الأخلاق وأسرار الدولة والعائلة. لم تعد هناك حصون منيعة لا يدخل الروائي إليها . أما الجنس ، فيلعب الروائيون الجدد به كما يلعبون بالنار ، باختصار انتهكت الصراحة كافة القيم الأخلاقية وأصبح اللامعقول قاعدة يلتزم بها الإنسان ، قاعدة مؤداها أن العالم الذي نعيش فيه عالم غير معقول يفضى إلى العدم , ولا بد أن يدرك الإنسان أن المجتمع بل العالم الذي يعيش فيه ، مهدد بالإنهيار و يوشك أن يموت . وتستهدف الرواية الجديدة بصفة عامة البحث عن الإنسان وعن حقيقته العميقة ، ويمكن أن نقول بعبارة أكثر شمولا أنها تريد أن تفهم مصيره ، ولقد ساعد على ذلك توثيق الصلة بين الفلسفة و الأدب خاصة بعد عام 1930 ، حيث رأينا روائيين مثل سارتر وكامو وسيمون دي بوفوار يصبون تصورهم للإنسان ورؤياهم للأشياء في قالب الرواية ، ومن ثم كان ابتعاد الأدب عن الخيال شيئا فشيئا واقترابه من تصوير الإنسان تصويرا ميثافيزيقيا وينطبق هذا على الغالبية العظمى من الروائيين الجدد ، وتتفق الرواية الجديدة مع هذه الواقعية الميثافيزيقية في المضمون و الشكل فهي تعمل على إحياء أصالة الوجود الفردي ، في حين كانت تعمل الأساليب القديمة إلى وصف تصرفات الشخصية وتفسير طباعها ومن ثمة لم يكن ليتسنى لها تصوير تجربة الإنسان الحقة ، كانت الرواية القديمة تضفى على الحياة الداخلية تماسكا ووضوحا يتنافيان مع الواقع ، أما الرواية الجديدة فتتميز برغبتها في النظام ، وهي لا تشعر أن هناك سببا لوجودها إلا إذا فرضت أسلوبا معينا على واقع غير منظم أساسا ، وبدلا من أن تحاكي الواقع تناقضه ، وتعمل على الهروب من نقله كما هو ، أيا كان الدرب الذي تسير فيه ، وما يظنه قارؤها أنه إخلال بالنظام والوضوح ما هو إلا النظام والوضوح بعينه ، هكذا يفهم الروائيون الجدد التصوير الحقيقي للواقع ."(1)

(1) سامية أحمد أسعد ، المرجع السابق ، ص 14 - 15

" 'الرواية الجديدة ' عبارة رددتها الألسنة في السنوات الأخيرة ، وارتبطت أكثر ما ارتبطت باتجاه فرنسي يتمثل في أعمال روب جرييه ، وناثاليساروت ، وميشيل بوتور ، وكلود سيمون ، وبالرغم من أن الكثيرين قد قرأوا قصص روب جرييه وشاهدوا بعضهما على الشاشة البيضاء في إخراج آلانرينيه الرائع فإنهم مازالوا يتساءلون عن الرواية الجديدة ، وماهيتها ومضمونها.

وآلان روب جرييه (ولد عام 1922) هو رائد الرواية الجديدة ، أو هكذا شاءت الظروف أن يكون ، بدأ إنتاجه الأدبي عام 1953 ، وظل يتتابع حتى اليوم ومن أشهر ما كتب ' الغيرة ' la jalousée (1957) ، و ' في السرداب ' Dans la byrinthe (1959) ، و ' العام الماضي في مارينباد ' L'année dernière amarinbed عام 1961 ، أما آخر ما كتب ففصل بعنوان ' منزل اللقيا ' La maison de rendez-vous عام 1965 ، أثارت مؤلفاته كثيرا من الجدل والنقاش و جعلت من مؤلفها منذ البداية هدفا للنقاد وأقلامهم ، لذا اضطر هذا الأخير إلى الدفاع عن نفسه عارضا أفكاره تارة ، ومفسرا ما أراد أن يقوله تارة أخرى ، ولا يرى جرييه أن الرواية الجديدة نظرية ثابتة أو موضة سوف تنقضي , لكنه يرى أنها مرحلة من مراحل تطور الأدب . ' أن ما يقدمه الفن للقارئ أوالمتفرج اليوم هو طريقة للحياة في عالم اليوم ، وللمشاركة في عالم الغد ، ولبلوغ هذه الغاية تطلب الرواية الجديدة من الجمهور أن يثق في قدرة الأدب ، وتطلب من كاتب الرواية ألا يخجل من الاشتغال بالأدب'."(1)

(1) المرجع السابق ، ص 19 - 20

مما سبق نجد أن الرواية في فرنسا تستمد كيانها من الواقع الفرنسي الذي لا ينفصل بدوره عن التاريخ الأوروبي وما عرفته البلدان الأوروبية من رجات اجتماعية و سياسية أدت في كل مرة إلى ظهور خطاب روائي متميز ، وكانت الرواية متفاعلة مع الأحداث التي شهدتها القارة العجوز بعد الحربين الكونيتين ، الأولى والثانية ، وعبرت بصرامة عن التدمر و الانهزام والفوضى والضياع الذي ألم بالفرد الأوروبي عامة وبالكاتب بصفة خاصة ، فكان القلق والعبث و الغثيان واللامعقول (كما رأينا سابقا) صفات ملازمة للإنتاج خلال تلك الفترة وقد مسى هذا الوضع بصدفة مباشرة أو غير مباشرة كتاب الرواية المغربية.

" وتعد الرواية الجديدة حركة مست أهم العناصر التي التزمت بها الرواية التقليدية كالشخصية والبطل والعقدة أو الحبكة المركزية والمكان والزمان ، وقد أهملت الرواية الجديدة عنصري الحكاية والشخصية ، وهما العمودان الأساسيان اللذان يرتكز عليهما العمل الروائي التقليدي من أجل إعطاء صورة صافية واضحة عن الحياة ، وهي أي الرواية الجديدة تميل إلى الإبحار في اللغة وتستدرج القارئ إلى المتاهات بالإكثار من الشخوص و الأسفار والتنقل والحوادث العرضية .

و المعنى في الرواية الجديدة مضطرب غامض ، لأن الموضوع الذي يسعى الكاتب دائما إلى ترجمته ضمن رواياته مضطرب وغامض أيضا .

وأهم الملاحظات التي يمكن استخلاصها بعد معاينة النصوص الروائية فهي :

1 – الزمن :

أما في الرواية الجديدة الفرنسية فقد تم إعدام عنصر الزمن وحطم مجراه المتسلسل ، وهو الأساس المقدس في جميع الحكايات الابتدائية ، وحين تم تخريبه ، انفجر وبات متعلقا بسرعات متباينة ترتبط بزمن القصة المتخيلة وزمن السرد ، وبين هذين الزمنين علاقة فهما يتقاطعان ويتداخلان ، كما أن الروائي قد يسرع السرد أو يبطئه عند اعتماد الوصف أو التقليص أو التلخيص ."(1)

(1) رشيد قريبع ، الرواية الجديدة في الأدبين الفرنسي والمغاربي – نظرة مقارنة –

مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 21 ، جوان 2004 ، قسنطينة ، ص 69 – 71 .

" **2- المكان** :

أما عنصر المكان فقد ظل من أهم الخصائص التي حرص الروائيون في فرنسا على وصفها والإمعان في ذكر تفاصيلها وتقاطيعها ، لكنه أيضا وسيلة استعملوها لتعويض العقدة والتسلسل الزمني ، رأينا ذلك عند روب عزييه ، وناتالي ساروت ، وكلود سيمون ويأخذ المكان لديهم مدلولا سياسيا أو تاريخيا أو اجتماعيا من خلال أفعال الشخصيات وعلاقته بها ، فدراسة المكان لا يمكن أن تنفصل عن دراسة الأشياء التي لها علاقة بالإنسان كما أن هذه العلاقة تستطيع أن تعطي دلالات متعددة للمكان الروائي ، والمكان ممتلئ غامض بالأشياء وهو مرتبط بها وليس مستقلا عن نوعية الأجسام الموجودة فيه.

3 – الشخصيات :

وقد جاء بناء الشخصيات في الرواية الجديدة ضمن صور معبرة فالروائي يقذف بها أشلاء مبعثرة تبدو للوهلة الأولى متناقضة وفوضوية لا يمكن جمعها ، أي عكس ما كان شائعا في الرواية التقليدية التي تسهر كثيرا على تقديم الشخصية إلى القارئ كاملة متكاملة البنيان وبعد أن يتم التعريف بها شكلا ومضمونا ، بحيث لن يكون في حاجة إلى التساؤل حول ماهيتها ومصيرها أو حركيتها ، فمنذ البداية يقدم الروائي شخصياته ويحدد مسارها ورغبتها والأهواء التي تسيطر عليها ، وما على القارئ بعد ذلك إلا أن يأخذها كما هي ، أي دون التدخل في تشكيلها من جديد ، أما في الرواية الجديدة وفي أحيان كثيرة ينتهي النص دون أن تكتمل صورة الشخصية ولهذا يظل القارئ مشدودا إلى النص ، مطالبا بإعادة القراءة بغرض الوقوف عند مرتكز دلالي.

إن حركية الشخصية في الرواية الجديدة تتم غالبا بالقلق وعدم الوضوح فيحسن القارئ البسيط أن الكاتب غير متمكن لأن الشخصية الواحدة قد تغير أسماءها في أحيان كثيرة ، وذلك شيء لم يكن مألوفا لدى قراء الرواية التقليدية . "(1)

(1) المرجع السابق ، ص 72 - 73

نخلص في النهاية إلى أن الرواية الجديدة الفرنسية تحاول تجاوز القوانين السردية التقليدية باعتماد جملة من الظواهر الفنية الجديدة كالتعدي على عنصر الزمن وتهميش السرد وتجاوز المفهوم التقليدي للزمن بتكسير نسقية وإهمال الشخصيات وعدم العناية بها.

" والنتيجة أن الرواية الجديدة في فرنسا لا يمكن أن تدرس بعيدا عن الظاهرة الروائية بصفة عامة فهي رغم كل شيء نتيجة حتمية للتطور الذي يحدث في المجتمعات التي تنتمي إليها ، كما أنها تنضوي ضمن سياق عام يتشكل غالبا ، إثر تظافر جملة من العوامل والمؤثرات التي تؤدي في النهاية إلى تطور الأدب وظهور الأشكال الأدبية الجديدة ، وقد استندت الرواية الفرنسية إلى آراء الرواد أمثال : كافكا ، وجان بول سارتر ، وكارل هيدجروألبير كامو وسواهم من الروائيين الذين بدأت علامات إهمال الطقوس الروائية التقليدية تبدو في نصوصهم . "(1)

(1) المرجع السابق , ص 79

- أعلام الرواية الفرنسية الجديدة:

1 - ناثاليساروت:

ولدت في "إيفانوفو" بألمانيا سنة 1902 ثم انتقلت إلى فرنسا واستقرَت بها, وهناك بدأ اهتمامها بالكتابة فأبدعت روايتها الأولى "انتحاءات ضوئية tropismes.." سنة 1939, ثم "أوصاف مجهول portrait d'un inconnu" سنة 1949 و(مارترو martreau) سنة 1953 و "زمن الشك" سنة 1956 و "القبة الفلكية الاصطناعية le planétarium" سنة 1959, و فواكه الذهب les fruits d'or" سنة 1963, و"بين الحياة والموت entre la vie "et la mort سنة 1968, و" أتسمعونهم vous les entendez" سنة 1976.

2- كلود سيمون:

ولد سنة 1913 في تاناناريف tananarive, ويعد من أغزر كتَّاب الرواية الجديدة الفرنسية إنتاجاو بدأ حياته الأدبية بروايته (المخادع le tricheur) سنة 1945 ثم الحبل المتيبس le corde raide سنة 1947, و (جوليفار Gulliver) سنة 1952 و (مقدس الربيع le sacre du printemps) سنة 1954 والريح le vente سنة 1957, و العشب l'herbe سنة 1958م و"طريق الفلاندر la route de flandres" سنة 1960, و"الفندق

La palace" سنة 1962, و حكاية histoire 1967, ومعركة فارصال la bataille de pharsale 1969, والأجسام الناقلة les corps conducteurs سنة 1971, واللوح الثلاثي triptyque سنة 1973, ودرس الأشياء le leçon des choses سنة 1975م.

3- روبير بانجيه:

ولد سنة 1919 وكان يكتب النصوص الساخرة في بداية الأمر مثل (ماهو أو المواد mahoou ou le materieau) سنة 1952م والثعلب والبوصلة le renard et la boussole سنة 1953, ومجموعة أخرى من الروايات منها (غرال القرصان Graal filibuste) سنة 1956م (1)"

(1)- رشيد قريبع , الرواية الجديدة في الأدبين الفرنسي و المغاربي, رسالة دكتوراه دولة في الأدب المقارن, نوقشت في جامعة الأخوة منتوري, قسم اللغة العربية وآدابها, سنة 2003/2002, ص48

و(باغا baga) سنة 1958, والولد le fiston سنة 1959, وبقايا سيجارة في الملف clope ou dossiers سنة 1961, والتحقيق inquisition سنة 1962, وحول مورتين autour de mortin سنة 1965, و أحد الأشخاص quelqu'un سنة 1965, والليبيرا le libera سنة 1968, و باساكايpassacaille سنة 1969, وهذا الصوت cette voix سنة 1975.

4- جان ريكاردو:

من أهم المؤسسين والمنظرين للرواية الجديدة و خاصة في دراساته (قضايا الرواية الجديدة) سنة 1967 و(Nouveaux théorie du nouveau roman) من أجل نظرية للرواية الجديدة سنة 1971, أما أهم الروايات فهي "مرصد كان observatoire de cannes" سنة 1961, وسقوط القسطنطينية la puse de costantinople سنة 1965, والأماكن المذكورة le lieux dits سنة 1969م, ومن دراساته أيضا: المشكلات الجديدة للرواية " nouveaux problèmes du roman" سنة 1978

5- كلود أولييه:

له الإخراج le mise en scène سنة 1959م, و حفظ النظام le maintien de l'ordre سنة 1961م, و صيف هندي été indien سنة 1963, و فشل نولان échec de nolan سنة 1967, و الحياة فوق ابسيلونla vie sur epsilon سنة 1972, و اللُغز énigme سنة 1973م, و(أور أو بعد عشرين عاما our ou vingt ans après vingt ans) سنة 1974,

و ضربة ثأر فوزي Fuzzy sets سنة 1975."(1)

(1) المرجع السابق ص49.

6–آلان روب غرييه :

" ولد في ' براست ' سنة 1921 ، صار مهندسا في الفلاحة ، ثم عين مستشارا أدبيا في دار ' منتصف الليل ' Minuit ، وهو روائي فرنسي من مدرسة الرواية الجديدة ، بدأ حياته الأدبية برواية الممحاوات عام 1953 ، ثم توالت كتاباته التي من أبرزها : ' المسافر ' 1955 ، و'الغيرة ' 1956 ، و' الخالدة ' 1962 ، ' ومنزل اللقاء ' ، ثم ' ذكريات المثلث الذهبي ' 1978 و ' الخلابة الصغيرة ' 1979 ، و ' جين ' 1981 ، وفي عام 1985 نشر مذكراته ' المرأة العائدة ' وفي عام 1994 نشر سيرته الذاتية ' آخر أيام كورنثيا ' ، وجرييه منظر متميز للرواية الجديدة وقد بدأ ذلك في كتابه ' نحو رواية جديدة ' والذي جاء فيه أن الرواية الجديدة ترفض الشخصية والحكاية والالتزام ،وأن التفسيرات ستكون غائبة ومفترضة في مواجهة حضور البطل ، وأن مع اللغة الأدبية أن تتغير.....، يلعب التخيل في أدب جرييه دورا كبيرا فليست هناك حدود واضحة محددة بين الحقيقي والخيالي ، لا حدود بين الفكر والحلم ، ولا بين الموجود والمعدوم ، بين الممكن و المستحيل ، بين الأشياء وضدها.

فاز روب غرييه بجائزة موندياللو الإيطالية عام 1981 عن روايته ' جين ' قام روب جيرييه بكتابة سيناريوهات أفلام ، مثل ' العام الماضي في مارينبادL'année dernier amarinbad سنة 1962 ، ورواية سينمائية ' الخالدة L'immortelle ' سنة 1963 ، و 'بيت المواعيد La maison de rendez-vous ' سنة 1965 ، و'مشروع ثورة في نيويورك Projet pour une révolution New-York ' سنة 1970 ، وأخيرا ' الأسيرة الجميلة La belle captive ' سنة 1975 . "(1)

(1) محمود قاسم ، موسوعة أدباء نهاية القرن العشرين ، المرجع السابق ، ص 194 - 195

- ارتباط الرواية العربية الجزائرية بالمقاومة :

تظل الحركة الاستعمارية الغربية الحديثة دافعا قويا ساهم في خلخلة بنى المجتمع العربي إلى جانب انحطاط قيمه ، وأصبح بفضل ذلك المجتمع العربي يعيش في تخلف وتبعية ، لا يستطيع أن يفعل أي شيء يدل على التقدم بطريقة خلاقة نابعة من فكر عربي خالص ، ومع سلسلة الحلقات الحضارية المتوالية التي مر بها المجتمع العربي فكريا وثقافيا.

" ويرجع ذلك إلى أن التأثير الذي مارسته الحضارة الغربية سلبا و إيجابا ، إذ أنها في الوقت الذي حملت معها إلى المجتمع العربي مشاهد من التقدم الحضاري ، كان ذلك يقضي على جوانب هامة من مظاهر الشخصية العربية ، وكان لازما في هذه الحالة أن يقابل هذا الموقف بمواجهة عربية على المستويين : الفكري والثقافي ، الذي حاول الحفاظ على الشخصية العربية راجعا إلى التراث العربي القديم ، وعلى المستوى النضالي رفضا للاستعمار الذي أصبح يمثل تحديا كبيرا.

لكن الملاحظ على الصعيد القومي العربي ، ثقافيا و ماديا ،أن هناك خلل قديم في الصلة بين الوجود المادي للحياة العربية و الوجود العقلي ، فاتجاه التطور الاجتماعي والحضاري لا يحمل معه مؤثراته الفكرية المرافقة .

و على الصعيد الأدبي نجد أن الأدب العربي الحديث يحاول أن يتخطى الواقع المر الذي يعيشه المجتمع العربي الذي ساهمت الحضارة الغربية بقسط في تواجده ، ومن ثمة ارتبط هذا الأدب بالمقاومة والتطلعات التي ترفض أي وصاية أجنبية ، ومن ثمة لم تقف المقاومة عند المستوى الارتجالي (خطب ، ملتقيات و جمعيات). ولا عند المستوى النضالي وإنما تعلقت أيضا بالجانب الفني والأدبي (من شعر ومقالة ورواية) باعتبار أن الكتابة مواجهة كلامية فكرية ضد الحصار الثقافي الأجنبي "(1)

(1) عبد الكريم الخطيبي ، فن الكتابة والتجربة ، ت: برادة محمد .

بيروت ، دار العودة ط1 ، 1980 ، ص 16

أي الكتابة و طرائقها تشكل بداتها مجموعة مواقف قابلة للتحليل على مستويات مختلفة : تجاه الكائنات و الأشياء ، ومواقف تجاه الكتابة نفسها ، وانطلاقا من هذا المفهوم ، يصبح ممكنا البحث عن الترابط بين العلم الفن وبين المجتمع و بينه و بين السياسة ، وبخاصة عندما تتداخل عناصر الصراع المختلفة العلمية والسياسية.

ولقد احتضنت الرواية العربية في الجزائرالمقاومة الوطنية بمضامين مختلفة ، وارتبطت بالأحداث السياسية والتاريخية ، وكان لزاما على الأديب الجزائري أن يؤدي دوره بضرورة بعث الشخصية التاريخية والوطنية والثورية للشعب الجزائري ،ذلك لأنه وجد في التعبير الثوري وسيلته وأسلوب لتجسيد رؤيته التي تأخذ من التاريخ الثوري معينا لها.

و لهذا ارتبطت الرواية الجزائرية بالتاريخ النضالي ارتباطا واقعيا تخيليا في الآن ذاته ، مما يفرض علينا البحث عن أشكال العلائق بين الكتابة الروائية كمجموعة من المواقف ، وبين المجتمع الذي تسيح فيه عدة مؤثرات ، ثقافية ، سياسية ، حضارية ، تفرض هي بدورها على الكتابة الفنية احتضانها وتملكها.

" لاشك أن ظروف الاحتلال التي عاشتها الجزائر ، ومجموع النضالات الشعبية ساهمت بشكل مباشر في بلورة الوعي الوطني الجماهيري ، ومان لها أثر عميق في توجيه الأدب الجزائري نحو ارتباطه بالمقاومة الوطنية ، خاصة عندما كشف المستعمر عن نيته التوسعية الاستيطانية ومن هنا ارتبطت الرواية بالمقاومة ارتباطا عضويا ، فاحتلت مكانه خاصة في الأدب الجزائري. إذ أصبحت الوعاء الفني لكثير من قضاياه ومشكلاته . " (1)

(1) المرجع السابق ، ص 17

مما سبق نجد أن الحدث الأدبي والثقافي بالجزائر ، لا ينعزل عن الإطار التاريخي ، وظهور الرواية العربية بالجزائر لم يكن نتاجا لظهور البرجوازية كما هو الحال بالنسبة لنشوء الرواية الغربية ، وإنما كان نتاجا للثورة المسلحة والمقاومة الوطنية .

و ارتباط الرواية بالماضي التاريخي الاستعماري والثوري ارتباط نراه طبيعيا ، لأن البحث في الماضي ساعد على اكتشاف معالم الحاضر ومختلف الصراعات التي تشوبه ، وقد كان الروائي يهدف من الرجوع إلى الماضي إلى محاولة تحديد موقع الإنسان العربي الجزائري الذي استشعر ومازال يستشعر الاستعمار في شكله الجديد.

" ينفرد الأدب الجزائري بمجموعة من الخصائص ، في مقدمتها التداخل بين تيارات ثلاث : البربرية والعربية والفرنسية ، كانت هذه التيارات تتجاذب وتتشابك في تشكيل الوعي الوطني

وفن التأثير في المسار الفكري والأدبي ، وتميز الأدب الجزائري وتفرده على هذا النحو كان نتيجة لظروف الصراع القائم ضد مخططات الحضارة الفرنسية الليبيرالية ، الذي أثر في كثير من الظواهر الفنية مثل تأخر ظهور الرواية المكتوبة بالعربية إلى فترة ما بعد الاستقلال التي هي مرحلة استقرار وتأمل ، وتظهر الإبداعات الروائية الهموم التي تسيطر على الروائي الجزائري ، وهي هموم وطنية حضارية ويهدف الروائي من وراء تصويرها وطرحها إلى تغير جدري للمنظور الاستعماري ، وأنماط حضارة فرنسا على مختلف الأصعدة ، ولأن هذا الروائي مثقف ، فهو يعي ظاهرة الاستعمار الغربي وعيا واضحا يدفعه إلى محاولة اجتياز عملية التأثير الثقافي الأجنبي المفروضة من طرف وصاية الثقافة الفرنسية" (1)

" ولقد استطاع الأدب الروائي في الجزائر تغطية منجزات الثورة الوطنية ، وما أفرزته من تحولات اجتماعية وسياسية ، باعتبارها موقفا رافضا للاتجاه الليبيرالي من الحضارة الغربية, وترجع هذه التغطية شبه الشاملة, إلى اختلاف المنطلقات الفكرية والأيديولوجية والجمالية التي فرضتها رؤية كل أديب, وإذا علمنا أن الثورة احتوت في بدايتها على عدة تناقضات تمثلت في أحزاب سياسية وجمعيات دينية متعددة حيث كان لكل منها توجهه الخاص به, فإن الاتفاق على معاداة ظاهرة الاستعمار الفرنسي كان أمرا مشتركا مما ساعد كثيرا على ضم هذه التشكيلات والانتماءات المختلفة في إطار الحركة الوطنية الشامل: جبهة التحرير الوطني"(2)

(1)باي عز الدين ، رسالة ماجستير في الأدب المقارن ، موقف الرواية العربية الجزائرية من الحضارة الغربية.

كلية الآداب جامعة القاهرة ، 1988 ، ص 17

(2) المرجع السابق ، ص 18

فالثورة الجزائرية احتوت كافة الطاقات الحية والتقدمية الثورية, وهذا ما أفرز أدبا تبعا لتلك التناقضات, فالروايات الجزائرية وان طرقت نفس المواضيع (الثورة الوطنية بكل خلفياتها) التي تعتبر بمثابة الخيط الرفيع الذي التفت حوله الحركات الوطنية, ابان حرب التحرير الوطنية, فهي تختلف أساسا في كيفية طرح هذا الموضوع , وذلك حسب المصالح الطبقية التي يعبر عنها هذا الكاتب أو ذاك. وفي هذا الإطار تعددت أساليب تناول الرواية الجزائرية في صياغة موقفها من الاستعمار تبعا لاختلاف موقف كل أديب ورؤيته وحسب الظروف السياسية والاجتماعية.

الفصل الثالث

- نبذة حول حياة الكاتب

- أهم مؤلفاته

- تلخيص مضمون رواية ' الدار الكبيرة '

- دراسة البنية الفنية للرواية وقراءة في :

- الزمان

- المكان

- الشخصيات

- اللغة

- الحدث

- المغزى

يعد " محمد ديب " من أشهر الروائيين الجزائريين في العصر الحديث ، وقد تجاوزت شهرته الإطار القومي ، وأصبح من كبار الكتاب العالميين سواء من حيث غزارة نتاجه في مجالات الرواية ، الشعر ، القصة القصيرة ، المسرح ، والمقالات المختلفة أم من حيث القيمة الفنية لأعماله .

وفي البداية ندما بدأ محمد ديب في كتابه الرواية كانت الجزائر تمد بمرحلة تاريخية صعبة للغاية ،قلما مر بها شعب من الشعوب عبر تاريخه إذ خضعت الجزائر لأبشع استعمار عرفه التاريخ فعندما بدأ محمد ديب الكتابة والجزائر تمر بهذه الظروف المؤلفة كان عليه أن يهتم بهذه الظروف وأن يعبر عنها بصدق وأمانة , فقد شعر ديب بمسؤوليته تجاه هذا الوضع المتأزم المؤلم الذي آل إليه شعبه ,وهو جزء لا يتجزأ منه ، وكأن شأنه في هذا شأن كل كاتب جزائري عاش المرحلة وهي مرحلة الخمسينات فكانت هذه المرحلة إذا تصويرا لهذا الوضع المؤلم ولم يكن ليجد الكاتب أنداك وسيلة يدافع بها عن كرامة شعبه إلا القلم , ذلك القلم الذي رسم مأساة الشعب الجزائري ، وحاول أن ينقل به صورة الحياة التي يعيشها هذا الشعب المضطهد للرأي العام العالمي ، ومن الصور الحية التي استطاعت أن تثير ضجة عالمية في أوساط الشعوب المحبة للسلام ، الصورة التي رسمها محمد ديب عن المجتمع في روايته التي حملت اسم ثلاثية الجزائر وهي ' الدار الكبيرة ' و ' الحريق ' و ' النول ' في هذه الثلاثية أعطى كاتبنا صورة حية تنبض بالألم عما كان يعانيه الشعب الجزائري في الأربعينات .

- التعريف بالكاتب

قبل أن نتحدث عن حياة محمد ديب يجب أن نشير أولا إلى الخصوصية التي تميز كتاباته الأدبية ، وفي إطار أدبي كتب روايته ؟

فنقول أن الخصوصية التي ميزت كتاباته هي أن رواية محمد ديب واقعية حيث تبنى المذهب الواقعي في كتاباته وذلك نتيجة الوضع السياسي في وطنه ، هذا الوضع الذي كان يهدف إلى القضاء على كيان أمة بأكملها ، ولقد أراد كاتبنا أن تكون الرواية الواقعية شعاعا ينير هذا الكيان ويعيد له الاعتبار، وجاء هذا الكيان على شكل بنية اجتماعية لها كيانها في أعماق التاريخ ، وهذا بالذات ما يميز الشكل الروائي الواعي لدى الكاتب عن بقية الأشكال الأخرى ، إذ أن هدف الكاتب في مثل هذا الوضع هو إعادة الاعتبار لهذا الكيان الاجتماعي ، وقد كتب أيضا في إطار الأدب الذي استدار لغة قوم غير قومه ، لكنه لم يقدم أدبا له طابع المستعمر رغم استخدامه لغة المستعمر ، ولكنه فرض أدبا حرا ومتحررا أدبا راتبا لم يكن تابعا للأدب الفرنسي ، وكشفت كتابات محمد ديب المتنوعة عن مواهبه ككاتب وعن طاقاته ومقدراته العديدة وهذا ما نجده في ثلاثية العظيمة حيث وصف الجزائر المستعمرة وكانت طريقته في التعبير تتميز بالخصوصية المحلية والعالمية في آن واحد .

- حياة محمد ديب

" ولد محمد ديب بمدينة تلمسان في 21 جويلية 1920 من أسرة برجوازية بدأ دراسته في مدينته الأصلية ثم واصلها بمدينة وجدة المغربية ، ونظرا للظروف التعليمية أنداك لم يتمكن من تعلم اللغة العربية الفصيحة وبعد فترة وجيزة أصبح يحسن اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية الدارجة.

لم يعرف محمد ديب الحياة البائسة التي وصفها في روايته ' الدار الكبيرة ' عكس ما ذهب إليه بعض النقاد إذ اعتبروا أن هذه الرواية هي ترجمة شخصية لحياة الكاتب ."(1)

(1) يوسف الأطرش ، المنظور الروائي عند محمد ديب ، الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين 2004 ص 95

كان أبوه حرفيا ، اشتغل في النجارة وصناعة الزرابي ، حتى توفي سنة 1931 ، فورث الابن عن أبيه حرفة صناعة الزرابي فاشتغل رسام سجاد ، وبعد طفولة عادية ، بدأ محمد ديب يواجه صعوبات الحياة التي أخذت تحوله شيئا فشيئا ، إذ بدأ يكتب أشعارا منذ سن الرابعة عشر بدافع غريزي ، كما كان يهوى الرسم في هذه المرحلة من حياته ، التي لم يتحدد شيء فيها بالنسبة للمستقبل ، عين سنة 1939 مدرسا في قرية صغيرة جدا تقع بالحدود الجزائرية المغربية ، ساعده الحظ إذ لم يجند خلال الحرب العالمية الثانية ، إلا أنه قضى الفترة ما بين 1940 – 1949 م في الخدمة المدنية ، وكموظف في السكة الحديدية الجزائرية بمدينة وجدة ، ثم انتقل بعدها إلى الجزائر العاصمة وعين مترجما لدى الحلفاء (فرنسية – انجليزية).

" عاد إلى تلمسان سنة 1945 واشتغل مصمما للزرابي التي تصنع تحت رقابته ، وفي سنة 1949 بدأ محمد ديب يشارك في اللقاءات الثقافية التي كانت تنظمها مصلحة التربية الشعبية. اشتغل صحفيا في جريدة ' الجزائر الجمهورية ' Alger république الصحيفة التقدمية في الفترة ما بين 1950 – 1952 م في هذه الجريدة بدأ ينشر أشعاره ، وبعض المقالات والتعليقات ، وقد كان يشتغل في هذه الصحيفة إلى جانب الكاتب كاتب ياسين . وقد اختص ديب في تتبع أخبار المسرح الناطق بالغربية الدارجة ، وكان في هذه الفترة عضوا بارزا في نقابة الفلاحين وكان يدافع بمرارة على حقوق الفلاحين والعمال ، كما كتب في صحيفة الحرية Liberté وهي لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري .

ظهرت له مجموعة من المقالات أثناء هذه الفترة من أشهرها ' المثقفون الجزائريون والحركة الوطنية ' التي ظهرت في 26 أبريل 1950 ، ومقال بعنوان ' ألف عامل في إضراب في منطقة عين طاية ' الذي ظهر في 25 – 27 أبريل 1951 ، وكذلك مقال بعنوان ' لماذا يجب أن نقرأ الروايات السوفيتية ' هذا إلى جانب عدة ترجمات وكتابات مختلفة. "(1)

تزوج محمد ديب سنة 1951 ب كوليت بليسون فرنسية الأصل وأنجب منها أربعة أطفال ، وفي سنة 1952 قام برحلة إلى فرنسا بعد أن ترك وظيفته كصحفي مباشرة وقرر أن يتفرغ للأدب.

(1) المرجع السابق ، ص 60

ظهرت روايته الأولى ' الدار الكبيرة ' سنة 1952 ، ثم تبعتها كتابات عديدة في ميدان القصة والشعر ، وفي سنة 1954 ظهرت روايته الثانية ' الحريق ' وكدا قصيدة ' أشعار الجزائر ' في سنة 1955 ، صدرت مجموعته القصصية الشهيرة ' في المقهى ' وفي سنة 1957 ظهر الجزء الثالث من الثلاثية ' النول ' وعرفت هذه الثلاثية بـ ' ثلاثية الجزائر ' ."(1)

ومن خلال اطلاعه الواسع مع الآداب الأجنبية فقد تأثر بالكاتبة الأمريكية فرجينيا وولف وهي 'روائية انجليزية ' ، من كتاب المقالات تزوجت سنة 1912 من ليونارد وولف الناقد والكاتب الاقتصادي ، وهي تعد من كتاب القصة ' الثائرين ' كانت روايتها الأولى ذات طابع تقليدي مثل رواية ' الليل والنهار ' 1919 ، واتخذت فيما بعد المنهج المعروف بمجرى الوعي أو تيار الشعور كما في ' غرفة يعقوب ' 1922 ، و ' السيدة دالواي ' 1925 ، و' إلى المنارة '1927 و'الأمواج ' 1931 ، ولها روايات أخرى ذات طابع تعبيري ، منها رواية ' أورلاندو ' 1928 و' الأعوام ' 1937 ، و ' بين الفصول ' 1941 ، اشتغلت بالنقد ، ومن كتبها النقدية ' القارئ العادي ' 1925 ، و ' موت الفراشة ومقالات أخرى ' 1943 ، كتبت القصة القصيرة وظهرت لها مجموعة بعنوان الأثنين أو الثلاثاء ، انتحرت غرقا خوفا أن يصيبها انهيار عقلي."(2)

كما تأثره بالكتاب الإيطاليين الذين ثاروا ضد الفاشية ، جعله إلى جانب هذا وذاك ، يتبنى أشكالا فنية تمكنه من التعبير عن النزوات المكبوتة وعن هموم المثقف الجزائري ، الذي يواجه وضعا تاريخيا لا مفر منه ، وعلى هذا الأساس جاءت رواياته الأولى ، ونخص الثلاثية منها - أشبه بكثير من حيث بناءها الفني بالرواية الأمريكية – الإيطالية ، و متميزة بخصوصيتها في التعبير عن مشكلات المجتمع الجزائري.

(1) يوسف الأطرش ، المرجع السابق ، ص 61 .

(2) الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا يوم : 12 جانفي 2011 ، الساعة 30-10 د http //: arwikipedia .org /wiki/

" نفته السلطات الفرنسية من الجزائر سنة 1959 ، نظرا لمواقفه المعادية للسياسة الاستعمارية وفي السنة نفسها ظهرت رواية ' صيف إفريقي ' أقام ديب في موجان ، بقي هناك خمس سنوات أصدر خلالها خمس كتب ، سافر بعدها إلى ألمانيا الشرقية ، وإلى بولونيا وإلى تشيكوسلوفاكيا استقر في لاسيل سان كلو،La celle saint-cloud إحدى ضواحي باريس .

إن نتاج محمد ديب غزير جدا ، فإلى جانب الأعمال التي ذكرناها صدرت له في سنة 1962 رواية ' من يتذكر البحر ' و رواية ' مجرى على الحافة المتوحشة ' سنة 1964 ، و رواية 'رقصة الملك ' سنة 1963 ، ثم رواية 'إله في الوحشية ' سنة 1970 وهي الجزء الأول من ثلاثية جديدة أعلن عنها الكاتب ، وفي سنة 1973 ظهرت رواية ' سيد القنص ' الجزء الثاني من الثلاثية الجديدة التي لم يصدر الجزء الثالث منها .

وفي سنة 1977 ظهرت رواية ' هابيل ' التي تعالج موضوعا يختلف تماما عن موضوعات الروايات السابقة ، وآخر رواية صدرت له هي رواية ' سطوح أوراسول ' les terrasses d'orsol سنة 1985 ، وزيادة على هذا النتاج صدرت له عدة مجموعات قصصية ، ودواوين شعرية ، منها المجموعة الشعرية ' الظل الحارس ' سنة 1961 ، ثم مجموعة أخرى بعنوان 'صيغ ' سنة 1970 .

وقد تحصل على عدة جوائز تشجيعية وتكريمية اعترافا بموهبة ، وسعة رؤيته منحت له جائزة 'فنيون 'Féneon سنة 1952 عن رواية الدار الكبيرة. ومنحت له كذلك جائزة ' روني لابورت' René laporte سنة 1961 على المجموعة الشعرية ' الظل الحارس ' ثم منحت له جائزة ' الاجتماعية' سنة 1963 ، ثم جائزة المعهد الشعري لمونتان سنة 1964 ، ثم منحت له جائزة اتحاد الكتاب الجزائريين سنة 1966 ، وجائزة أكاديمية الشعر على مجموعة عمله سنة 1971 ، ثم منحت له جائزة جمعية كتاب اللغة الفرنسية سنة 1978 عن رواية ' هابيل' "(1)

(1) يوسف الأطرش ، المرجع السابق ، ص 62 - 63

وقد اخترت دراسة رواية ' الدار الكبيرة ' للكاتب الجزائري الكبير ' محمد ديب ' لأنها تحكي قصة أسرة جزائرية فقيرة ، تجاهد بمشقة وصعوبة لكسب قوتها ولكنها لا تنجح إلا نادرا في سد رمق أفرادها ، ومن خلال هذه الأسرة تروي قصته كل أسرة جزائرية بائسة ، ويعتبر الصراع ضد الفقر موضوع الكتاب ، والفشل المستمر يمثل الأحداث التي تسير الرواية.

ففي الجزء الأول ' الدار الكبيرة la grande maison ' نعيش مع الكاتب في مدينة تلمسان الواقعة في القطر الجزائري وعلى مقربة من الحدود المغربية وفي دور من دورها الكبيرة هي ' دار سبيطار ' وهو المكان الذي تقع فيه جل أحداث الرواية ودار سبيطار في العامية الجزائرية تعني المستشفى وهي منحوتة من الكلمة الفرنسية Hôpital ، وسميت بهذا الاسم لأن هذه الدار قد استخدمت كمستشفى خلال الحرب العالمية الأولى ، وهي عبارة عن مسكن كبير وعتيق تتوسطه ساحة صغيرة ، وتسكنه عدة عائلات فقيرة ودار سبيطار مملوءة كخلية نحل ، كما يصفها ديب نفسه ، وفي هذه الدار تسكن ' عيني ' الأرملة البائسة الفقيرة التي تعيل ' عمر ' وهو بطل الثلاثية كما تعيل أختيه ' عويشة ' و ' مريم ' وأمها العجوز طريحة الفراش.

أما عمر فهو شاهد على مجتمع يعيش في البؤس ويتهيأ للثورة ، والشخصية الثانية البارزة في الرواية هي ' حميد سراج ' الزعيم السياسي الذي تطارده الشرطة الاستعمارية ، ويمثل الإرهاص الثوري الذي سبق ثورة التحرير الكبرى ، و الرواية بشكل عام تعطي لوحة واسعة للظروف الصعبة القاسية التي كان يحياها المجتمع الجزائري في أواخر الثلاثينات من هذا القرن حيث تجري أحداثها ما بين سنتي 1933 – 1939 .

تلخيص مضمون رواية ' الدار الكبيرة '

الدار الكبرى ، الدار الكبيرة ، دار سبيطار(la grande maison).

ظهرت الدار الكبيرة ، الرواية الأولى (محمد ديب سنة 1952) عن دار النشر le seuil في 190 صفحة وتعد الجزء الأول من الثلاثية.

أول ما افتتح به الكاتب الرواية هو ' هات قليلا مما تأكل ' فالقضية هنا هي قضية الفقر والجوع والبحث عن القوت والأكل بأية طريقة ، ففي المدرسة وفي صراع مع هذا الجوع ، يحاول 'عمر ' مع نخبة من أمثاله الحصول على قطعة خبز ، سواء يحمل المحفظة أم أن يكون محاميا لأحدهم حتى لا يتعرض الطرف الآخر للضرب ، أو في دار سبيطار كان عمر يحصل على قطعة خبز أو فاكهة بطريقة أو بأخرى من طريق الخدمات المتنوعة التي يقدمها للمرأة ' يمينة ' وهي امرأة قصيرة حلوة القسمات كما يصفها الكاتب ، إذ أنها تذهب كل صباح إلى السوق وتعود بقفة مليئة ، وكثيرا ما كانت ترجو عمر أن يقوم عنها ببعض الأعمال يشتري لها الفحم ويملأ دلوها من ماء العين ومقابل هذا كانت تكافئه بقطعة خبز مع ثمرة من الفاكهة ، وكانت تدعوه إلى الحجرة وتقدم له الطعام وتحرص عليه أن يأكل فهي لا تعامله معاملة الكلاب ، وكان هذا يسره كثيرا . وينتقل الكاتب إلى وصف عمر وهو يراقب صبي صغير هزيل ذو وجه شاحب يقف بعيدا عن التلاميذ ، وكان يرتدي قميصا من قماش الكاكي وقد أشفق عمر عليه كثيرا مما جعله يتظاهر برمي قطعة خبز أمامه ويتابع ركضه ، وبعدها يراقبه مرة أخرى فيراه يتناولها خلسة ويلتهمها . مما جعل عمر يجهش بالبكاء .

ثم يحدثنا عن الأم ' عيني ' وهي فوق المكنة تصرخ وراء أولادها وهم جياع ، ينتظرون وقت حضور الطعام ولكنه لم يأت بعد ولم ينضج ، بل عملت على ضرب عمر وإخراجه من الحجرة وهرع يخرج من الحجرة ، ولعنات عيني تلاحقه.

بعدها يصور لنا لائحة لمظاهر الجوع والحرمان حي يصف فئة قليلة من أبناء التجار والملاك والموظفين الذين يرتادون المدرسة دون أن تنالهم يد المعلمين بعقاب شديد من بينهم إدريس بلخوجا هو صبي غبي متكبر لا يعرض أثناء فترات الاستراحة خبزا فقط بل كان يعرض كذلك فطائر ومربات ، ويأخذ الصبية يلتقطون ما يسقط على الأرض هذا في المدرسة ، أما في دار سبيطار نرى نموذج حي هي ' عيني وأولادها '.

" عيني هاته الأم المسكينة التي ترك لها زوجها المتوفي أربعة أطفال : عمر ومريم وعويشة والولد الرابع توفي بعد والده بنفس المرض الذي أصيب به أباه ، ثم أضيفت إليها أمها العجوز التي تخلص منها جميع أبناءها ، فظلت ماكثة عند ' عيني ' تقاسي العذاب والويلات ، وأصبحت عبئا ثقيلا على ابنتها التي تكافح من أجل إطعام أولادها الجياع ، ثم حديث عن العمة حسناء التي تزورهم كل خميس وأيضا العمة منصورة التي تأتي هكذا وتزور هذا وذاك ، وأيضا أخواتها التي تزور أنها أحيانا ولكن عيني تشمئز منهما وتتخاصم معهما إلى حد سماع الجيران كل الذي يحدث بينهما بسبب أمهما هاته العجوز التي ظلت عند عيني وهي لا تملك شيئا لرعايتها ، ثم حديث عن عمر الذي يذهب إلى المدرسة ، لكنه كثيرا ما كان يتغيب عن الدروس وعن الدروس التي تقدم للتلميذ الجزائري ، وتهدف إلى محو الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها ويتضح هذا من خلال الدرس الذي قدمه المعلم ' حسان ' وهو يحاول أن يقدم درس الأخلاق لتلاميذه ، وكان موضوع الدرس الوطن – ' من منكم يعلم معنى كلمة الوطن '....فقامت حركات عكرت هدوء الفصل فضرب المعلم إحدى المناضد بعصاه ، فأعاد إلى القاعة النظام . إلى أن أجاب أحدهم فرنسا هي أمنا الوطن " (1)، أثارت هذه الإجابة تساؤلات عديدة لدى عمر الذي بدأ يفكر في معنى هذه الكلمة ، " ولكن شفتاه كانتا مزمومتين ، فهو يعجن في فمه لقمة خبز "(2)، وهل صحيح أن فرنسا هي أمه ....، وفرنسا عاصمتها باريس أنه يعرف أن من أراد أن يذهب هناك أو يعود عليه أن يجتاز البحر وأن يركب باخرة ، فيتساءل كيف يمكن أن تكون تلك البلاد البعيدة أمه ، إن أمه في البيت : إنها ' عيني ' ، وليس له أمان اثنتان عيني ليست فرنسا ، ليس ثمة أشياء مشتركة بين أمه وفرنسا ، لكن عمر استطاع أن يحلل كلمة الوطن إذ ليس هناك أوجه التشابه بين فرنسا و الحياة التي يعيش هو وعائلته ، ومكان دار سبيطار حيث استطاع عمر بطريقة عفوية اكتشاف أن كل ما يتعلمه في المدرسة كذب وأنه يجب عليه أن يتعلم الكذب حتى ينجو من عصا معلمه ، وبعد مواصلة المعلم شرحه تذكر عمر المناضل حميد سراج فحاول أن يوازن بينه وبين معلمه أيهما الوطني ، فالمعلم من النبلاء وحميد تطارده الشرطة.

(1) محمد ديب ، الدار الكبيرة ، ترجمة : سامي الدروبي ، الجزائر ، بروايات الهلال ، عدد 262 – أكتوبر 1970 ص 22 .

(2) نفس المصدر ، ص 23 .

وبعدها اندهش عمر حين سمع المعلم يتكلم بالعربية ، و " قال المعلم بصوت خافت يخالطه عرق محير ، ليس صحيحا ما يقال لكم من أن فرنسا هي أمكم ." (1)

ويصف عمر هذا الصباح الباكر الذي كان فيه سكان دار سبيطار نائمين في هذا الفجر الذي أطل بنوره وفي هذا السكون ، سمع صوت الباب ، عرف أنه ' مولاي علي ' الذي خرج مبكرا أو كان عاملا في السكك الحديدية ، بعدها نسمع خطوات متتالية ، إنها يمينة بنت سنوسي تذهب إلى سوق الغزال أين تبيع الصوف التي نسجتها ابنتها عمارية أيضا وصليحة بنت النجار خرجت أيضا من الدار، يعملان في صناعة الزرابي ، وبعد فترة استيقظ الجميع وتعذر على عمر النوم لأن الضجة كثرت وكذلك صيحات أمه مع الجارة سطعت مع شروق هذا الصباح.

في هذه الدار المليئة بالرائحة وسواد جدرانها وظلمة غرفها ، ثم يستيقظ ' عمر ' على هذا الحديث بين عيني وجارتها زينة حول بعض الأمور ، وأثناء ذهابه لممر الاستراحة يصطدم بزهور جارته الجميلة ، التي تحب عمر وتتبادل معه أطراف الحديث وتطلب منه في كل مرة أن يصاحبها إلى بني بوبلان أين تقطن أختها وزوجها' قارة علي ' لتساعدها في بعض أعمالها . بعدها يضيف لنا 'محمد ديب ' خروج الرجال إلى الخارج ولا يبقى ي هذا الدار سوى النسوة والأطفال ، ثم زيارة العمة ' حسنة ' إلى دار 'عيني ' حيث يقطع السلم أنفاسها وترتاح قليلا على عتبة غرفة ' عيني ' بعدها تتجاذب معها أطراف الحديث حول زيارة القبور ، وتسألها إذا ما كانت تزور قبر زوجها ، فتخبرها عيني بأنها لا تفعل ذلك ، لعدم وجود الوقت الكافي لها أيضا لماذا تزوره فهل ترك لها أموالا أو تركة تتذكره من خلالها ، فكأنها تلومه لأنه ترك لها كل هذه المسؤولية ورحل عنها ، ثم ترد عليها العمة ' حسنة ' بأنها من الأفضل أن تهتم بأولادها بدل الذهاب إلى المقبرة ، وتسلم لها علبة فتشكرها ' عيني ' على ذلك ، ثم تحدثها عن أخبار الاعتقالات التي تخطف الرجال هذه الأيام في كل المدن الجزائرية .

(1) المصدر السابق ، ص 26 .

حيث تقوم هذه العمة بالاستهزاء والاستهتار والسخرية من هذه النخبة من الرجال وتصفهم بالمجانين والفقراء ، فتقول : " أما أنا فأعرف ، هؤلاء أناس حمقى أغبياء ، إن ما يريدونه هو أن يحلوا محل الفرنسيين ، فهل يعرفون كيف يحكمون "(1)إذا فهي لا تثق بقوة الرجال حيث تفضل أن يذهب حميد سراج إلى الأسرة ،وتفضل أن يترك هذه السياسة لأن ' عيني ' أخبرتها بهجمات الشرطة واستدعائهم وأنمه تعودوا على مثل هذه الهجمات من طرف الشرطة لكن حسنة تمنت له ولأمثاله الموت لأنه يقلق راحتها ، لكن ' عيني ' لا تبادلها الرأي في هذا ، لأنها تفكر في أخته التي تعيش معه وأيضا لا تتمنى القبض عليه لأنها تعلم أن حميد سراج وأمثاله من السياسيين وحدهم كفيلين بأن يخرجوا الجزائر من الوضع المتأزم الذي آلت إليه .

وبعدها تغبر العمة حسنة الحديث وتسألها عن ابنتيها ' عويشة ومريم ' وتطلب منهما أن يساعداها خاصة عمر الذي تطلب منه أن يتعلم الصنعة ويتخلى عن الدراسة ولكنه يجيبها دون أن يعي احترامها ، ويرد عليها بأنه يريد أن يتعلم ليصير إطارا ويتحصل على النقود بفضل الدراسة ، فكأنها تقول له ، عليك بالعمل ، فالدراسة ليست لأمثالك بقولها " دعك من هذه الأفكار إن عليك أن تعمل كالحمار إذا أردت أن تعيش فحسب ، وهل الذين لم يذهبوا إلى المدرسة في يوم من الأيام يموتون جميعا ، التعليم ليس لأمثالك يا دودة ...."(2) ، وعيني توافقها وتطلب منه أن يسمع النصيحة ، والهدف من هذه الزيارة كلها ، هو الأقمشة التي جاءت من أجلها ، لتجلب لها عيني من المغرب . والمخاطر الصعبة الناتجة عنها ، ورغم هذا تطمئنها ' عيني ' لتنال قسطا من الفائدة يعود عليها وعلى أبنائها ، إذن تضطر عائلة عمر كلها للعمل من أجل تأمين الخبز.

(1) – (2) المصدر السابق ، ص 69 - 70

فعيني تهرب الأقمشة عبر الحدود المغربية لقاء مبالغ بسيطة تتقاضاها ثمنا لرحلتها الطويلة والخطيرة ، أو تنكب مع آلة الخياطة ، مازالت العمة عندهم ماكثة تتجادل أطراف الحديث مع أمه ' عيني ' حيث تعدها بأن تجد عملا لعمر ، ولكنه يرفض وعيني تصرخ وراءه وتطلب منه ألا يفكر في حميد سراج ذلك الشيوعي الذي يضيع وقته في الطرقات ، لكن العمة ' حسنة ' تقول لها لا تبالي سوف يعمل ، ثم تحدثها عن زواج ابنتها "إنني أستعد الآن للعرس، وأنت تعلمين ما هو دورك فيه " (1) وهو الحراسة وبعد فترة تغادر ولا تفضل أن تأكل معهم ، لأنها تعلم بحالتهم المزرية ، وبعدها يتحدث الكاتب عن حرارة الجو الكبيرة حيث تطلب عيني من أطفالها إحضار الماء من الأسفل ورميه داخل الغرفة وكان الأطفال في صعود ونزول مما أدى إلى تعبهم وهي تطلب منهم المزيد من المياه ، وكانت عيني وحدها لا تتحرك فهي مسمرة أمام ماكنة الخياطة تسارع في الانتهاء من عملها ، الصمت يدور في البيت الضخم سوى عيني وأولادها وحدهم واقفون غير جالسين ، وصوت آلة الخياطة تملأ المكان ، وهذا ما أدى إلى ظهور احتجاجات تنصب على أسرة عمر من طرف سكان دار سبيطار . فانفجرت الصاعقة في آخر القيلولة بين نساء الدار وعيني وبناتها حيث ردت عيني وابنتاها على سب وشتم هؤلاء النساء بكل ما أوتيت من قوة ودافعت عن شرفها وشرف عائلتها وأنها تعمل لإطعام أربعة أفواه فهي فقيرة لكن سمعتها نظيفة . ثم الصدمة التي تلقاها سكان دار سبيطار حين سمعوا باعتقال حميد سراج وهذا ما سمعته زينة من ابنتها زهور وقد رأت رجال الدرك يكبلون يديه بالسلاسل ثم يتحدث عن سماع عمر وإنصاته لحديث " حميد سراج وهو يدعو العمال والفلاحين إلى الثورة ورفض واقعهم المستغل من قبل الفرنسيين ويكشف لهم الحقيقة الأليمة التي آلت إليها حياتهم ، كما أنه يقودهم إلى محارة المستعمر ، وهنا يتجلى التحول العميق في شخصية ' عمر'. ثم ينتقل إلى الحديث عن أسرة عيني بالتحديد عن ' ماما ' أم عيني هذه العجوز النائمة في تلك الغرفة المظلمة حيث لا تتلقى العناية الكافية بسبب الوضعية السيئة التي تعيشها عيني مع أطفالها ، إلا عمر فهو الذي يستجيب لنداءاتها المتكررة لابنتها عيني.

(1) نفس المصدر ، ص 79 .

وتقول بأنها تخاف من الكلاب التي تأتي في اليل لتأخذ ما تبقى من أكلها ، وأيضا تسبب الرائحة الكريهة التي تجلبهم إليها . ثم حديث مطول بين عمر وأمه بسبب الاما و معاملتها السيئة من طرف عيني وهذا مثال عن شقاء الجدة مع ابنتها عيني ." كانت عيني تصرخ في أذنها كأنه صوت الرعد ، وهي تدفع إلى أمها بالطاسة ، ولكن العجوز لا تتحرك فكانت عيني تتناول الطاسة ، وتقبض على رأس الجدة ، ثم تدسها تحت أنفها فتقول الجدة : نعم يا ابنتي رأيت ، لماذا تعامليننني هذه المعاملة ، وتضيف إلى ذلك مدمدمة بين أسنانها ' ليته سم ' "(1)

وبعد هذا تدور الأحداث حول المخاطرة الكبيرة التي تقوم بها عيني وهي ذاهبة إلى وجدة دون أوراق رسمية قانونية لتجلب الأقمشة التي أوصت بها العمة حسنة خاصة أنها خرجت من أجلها فعيني مارست الكثير من الأعمال من غزل الصوف ونسجها وخياطة البابوش ، لكن ما تجنيه قليل لتجلب القوت لأطفالها .

ثم يتحدث عن ' مريم وعويشة ' اللتين أصبحتا تساعدان معها في العمل خارج البيت في مصنع لصناعة الزرابي ، على الأقل التزود ببعض الدراهم لأنه في الأسبوع على الأقل يجمعون ثمن الفرينة أو الدقيق أو يتحصلان على بعض البيض أو اللحم ، كانت هذه أحلام الأسرة الصغيرة ، وفي هذه الأجواء بينما تكون عيني في الخارج مع عمر سرعان ما تتلقى زيارة من ابن عمها 'مصطفى ' ابن لالا خيرة ويهديها في هذه الزيارة قفة مليئة بأنواع الخضر والفاكهة واللحم، مما زاد في تغيير الوضع نهائيا في هذه الأسرة ، جعلتها تعيش لحظات من الفرح فكأنها بعثت فيهم روح الحياة ، حيث صارت عيني والقفة موضع الحديث في دار سبيطار وأدى هذا إلى خلق نوع من الطمأنينة في نفسية عيني التي عادت بها الذاكرة إلى الحديث في شوق عن عائلتها وعن إخوتها وعن ابن عمها ، الإنسان الطيب الذي لا ينسى صلة الرحم وعمل على زيارتها ، ثم صارت تحن إلى أمها ، وتتحدث عن المعاملة السيئة التي تلقتها وتعرضت لها من قبل زوجة أخيها ، فهذه الأم كانت طول عمرها معطاءة و مضحية ولما كبرت رميت عند عيني رمية شنيعة كل هذا تقصه مع جارتها ' زينة ' التي تثق فيها وتحبها .

(1) نفس المصدر ، ص 110

ثم تأتي زيارة العمة ' منصورية ' وهاته المرأة كثيرا ما يشمئزون منها بسبب الرائحة لأنها لا تتنظف كثيرا لكن زيارتها هذه تعمل على مساعدة عيني في أمها حتى الجدة تناديها بابنة العم الصغيرة ، وبعدها تنتهي من تنظيفها ، تأتي لتتناول الغذاء معها ومع أولادها وهذا لأنها جائعة وحتى عائلة عيني لا تملك أكثر من غذاء أو قليل من الحساء ولهذا لم يستدعها أحد هذه المرة إلى المائدة لأنه قليل من الرز لا يكف إلا عائلة عيني بالرغم من أن عمر حاول أن يناديها ، لأن الجوع صورة متجلية على جسدها الهزيل ، رغم هذا نادتها عيني واستحلفتها أن تجلس معهم ، لكن العمة منصورة كان عذرها أكبر من ذلك فقد فضلت الخروج ووعدتهم بالعودة.

ثم ينقلنا محمد ديب إلى أجواء أخرى ، إلى أجواء الإعلان عن هذه الحرب وعن مصيرهم ودورهم في هذه الدار، ثم الحديث عن هتلر أصبح في أدهانهم هو المنقذ للمسلمين ضد اليهود وهو الذي سيقضي على الفرنسيين ويحرر بلادهم من هذا المستعمر الطاغي ، وفي هذا الزحم الكبير ، نجد الطفل عمر يحاول أن يجمع أكبر قدر من المعلومات ، مثله في ذلك مثل الرجال الحقيقيين الذين يهتمون بكل ما يدور من حولهم ، حتى أنه نسى الخبز الذي أوصت به أمه ، فعند دخوله متأخرا سارعت في طرده وأمرته ألا يعود إلا والخبز معه ورغم تفسيراته لها بأن الحرب إلا أنها لا تبالي بالمخاطر في قولها : " قل لي أين كنت ؟ أين كنت حتى هذه الساعة بينما نحن ننتظر ؟ قولوا لي : ألا يستحق القتل هذا الكلب المتسكع ، هيا اذهب حالا لإحضار الخبز وأنا أنصحك أن لا تضع قدميك في هذا البيت إن لم تعد بالخبز " (1) فعاد بخطاه إلى بيت الفران وهو يشعر بالخوف وقد رافقه عجوز إلى ذلك البيت ثم أخذ يدق الباب وما إن خرج إليه صاحب الفرن ' قدور ' حتى بدأ يتأفف و أخبره أن يعود غدا لأن الوقت متأخر فأخذ عمر ينتحب استدرارا لشفقة قدور إلى أن أعطاه الرغيف فحضنه عمر ومضى مسرعا إلى البي وسلمه لأمه و أخذ يراقبها وهي تقطع الخبز على ركبتيها.

(1) المصدر السابق ، ص 143

- دراسة بنية الزمان :

1 – المفهوم العام للزمن :

" الزمن هذا الشبح الوهمي الذي يقتفي آثارنا حيثما وضعنا الخطى بل حيثما استقرت بنا النوى بل حيثما نكون ، وتحت أي شكل ، وعبر أي حال نلبسها ، فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه ، هو إثبات لهذا الوجود أولا ، ثم قهره رويدا رويدا بالإبلاء آخرا ، فالوجود هو الزمن الذي يخامرنا ليلا ونهارا ، وصبا وشيخوخة دون أن يغادرنا لحظة من اللحظات ، او يسهوا عنا ثانية من الثواني ، إن الزمن موكل بالكائنات ،ومنها الكائن الانساني ، يتقصى مراحل حياته ، وبتولج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء ، ولا يغيب عنه منها فتيل . كما تراه موكلا بالوجود نفسه أي بهذا الكون يغير من وجهه ويبدل من مظهره ، فإذا هو الآن ليل ، وغدا هو نهار ، وإذا هو في هذا الفصل شتاء ، وفي ذاك صيف ، وفي كل حال لا نرى الزمن بالعين المجردة ولا بعين المجهر أيضا ، ولكننا نحس آثاره تتجلى فينا وتتجسد في الكائنات التي تحيط بنا ."(1)

" فالزمان عنصر ، ومهم في الدراسات النقدية الحديثة ومنه تنطلق أبرز التقنيات السردية المتعددة ، وتأتي العناية بهذا العنصر الروائي البنيوي ، انطلاقا من ثنائية المبنى المتن الحكائي.

ومن هنا يتضح أن الزمان هو الرابط لأحداث الرواية التي سنقوم بدراستها وهي الدار الكبيرة وسنقوم برسم ملامح البنية الزمانية في الرواية ورؤية كيفية تعبير المؤلف عنها ، وإبرازه لها والتعرف على وظائف الزمن ضمن الحركية الدلالية العامة للرواية ."(2)

(1) عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عالم المعرفة

ديسمبر 1998 . ص 199

(2) آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق . ط1 ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية 1997 ، ص 23

فإذا كان المكان هو الإطار الطبيعي لأحداث الرواية ، ومسرحا لتحرك شخصياتها ، فالزمان هو الرباط الذي ينظم أحداثها والسلسلة التي تربط بين حلقاتها ، ومن دونه تصبح الأحداث مشوشة مضطربة لا يمكن فهمها ، فالزمن يدور دورته و ينقش آثاره فينا ، وما المراحل التي يمر بها الانسان من الطفولة إلى المراهقة فالشباب والكهولة فالشيخوخة إلا دليل على تأثير الزمن فينا وإمارات بصماته علينا .

يعتبر المهتمون بالرواية أن الزمن في الرواية كالرقم المتسلسل للكتاب يرتب الأحداث كما يرتب الرقم الأوراق ، فالزمن ليس اختياري في الرواية ولكنه ضرورة قصوى وقد يستطيع الكاتب أن يعيد ترتيب الزمان ، فيبدأ بالحاضر ثم ينتقل إلى الماضي في استعادة للذكريات ، أو يمزج الحاضر بالمستقبل ولكنه مزج واع فيه استعمال للزمان رغم تداخل الأزمنة ، أما أن يلغي الزمن كلية ، فهذا غير ممكن لأن الحدث يحتاج إلى زمان ومكان وهو متصل بهما اتصالا وثيقا ، ومن يلغي الزمن في روايته ، يمكن أن نسمي ما كتبه خواطر لا رواية . فالزمن ليس ضروريا لفهم تسلسل الأحداث ، ولكنه مهم أيضا عند وصف الأماكن والمشاهد الطبيعية ،لأنها تتغير بتغير الليل والنهار وتغير الفصول .

وقد استعمل ديب في روايته الزمن الماضي ثم المستقبل ، إلا أنه في أغلب الأحيان الزمن الحاضر ولاسيما في الوصف العام لتوضيح أحداث الرواية وهذه أمثلة عن هذه الأزمنة الثلاثة :

الشهر :

" جاء شهر آذار 'مارس' إن الأحد الثاني من هذا الشهر لا ينسى في دار سبيطار"(1)

ويمثل هذا المشهد بحث الشرطة عن حميد سراج ، فقامت في البيت ضجة كبيرة ، حيث أخذت فاطمة أخت حميد سراج تندب وتنوح حسب قول الكاتب ، فاهتزت دار سبيطار كلها من اللعنات التي يطلقها فم فاطمة فهذا النحيب يعبر عن الكره والغضب ، أما رجال الشرطة فأخذوا ينبشون اوراق حميد سراج التي كان قد جمعها عند لحنه .

اليوم :

"اليوم خميس يوم عطلة ، ليس على عمر أن يذهب إذن إلى المدرسة. "(2)

وهو يوم شديد البرودة ، تقوم عيني بإشعال الرماد، وكان عمر يحاول تدفئة نفسه ويريد أن يحضن الكانون ، وعيني تتحدث إلى نفسها وتندب حضها لأن زوجها غيب وجهه في التراب وترك لها جميع أنواع الشقاء .

(1) محمد ديب ، الدار الكبيرة ، ص 36 .

(2) المصدر السابق ، ص 29 .

جرس الدخول إلى القسم :

" إن الجرس الذي يعلن نهاية فترة الاستراحة يوشك أن يدق الهيجان في ساحة المدرسة بلغ ذروته ، اللعب ازداد عنفا ، هذه هي العلامات التي تسبق الدقائق الأخيرة من الاستراحة ، إن عمر يعرف ذلك بغريزة التلميذ ."(1)

زمن العطلة :

" جاء شهر ' آب' أغسطس ببياضة الخانق فحل محل أضواء الربيع ، إن عمر الآن في إجازة الصيف ، ثلاثة أشهر لا يقرب فيها المدرسة ." (2)

زمن القيلولة :

" إن سكان البيت يقبعون الساعة في غرفهم ، دار سبيطار تستريح هذه الفترة من النهار ، هذا وقت القيلولة ، يكاد المرء يحس في هذه الأيام الأولى من شهر ' آدار ' أنه في فصل الصيف ."

(1) المصدر السابق ، ص 22 .

(2) نفس المصدر ، ص 59 .

- التقنيات السردية :

أ – الاستباق أو الاستشراف :amorce

" في حالات كثيرة يكون الاستشراف مجرد استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي ، وهذه هي الوظيفة الأصلية والأساسية للاستشرافات بأنواعها المختلفة ، وقد يتخذ هذا الاستباق صيغة تطلعات مجردة تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص فتكون المناسبة سانحة لإطلاق العنان للخيال ومعانقة المجهول واستشراف آفاقه ."(1)

إن الاستباق أو الاستشراف ، هو الطرف الآخر في تقنيتي المفارق السردية الارتداد / الاستباق وهو يعني – من حيث مفهومه الفني – تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة – حتما – في امتداد بنية السرد الروائي ، على العكس من التوقع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق ، وتجدر الاشارة إلى ان الاستباق تقنية تجيء – عادة – في بنية الرواية التقليدية ، على وجه الخصوص ، فيقتل عنصري التشويق و المفاجأة الفنيين لذى القارئ ، حين يعلن الراوي التقليدي عن الأحداث اللاحقة قبل وقوعها . "(2)

يكون الاستشراف توقعاصريحا لما سيأتي وبالفعل هذا ما نجده عند محمد ديب في رواية الدار الكبيرة حيث أن روايته كتبت قبل اندلاع الثورة التحريرية ، فإذا رأينا فيها تباشير الثورة التي هبت بعد ذلك تأكل الأخضر واليابس ، وتديق المستعمر الذل فلا تقولن أن الكاتب كالعراف الصادق النبؤة ، وإنما ينبغي أن نتذكر أن هذه الثورة قد تخمرت ونضجت ، فلما انطلقت كان فيها من الأحكام ما لا يكون بغير ذلك .

" إن دار سبيطار هي ذلك الرسم الواسع ، هي تلك المراهقة الجزائرية بتلمسان ، هي ذلك الفضاء الذي يتسع لأكثر من مشكل .... في هذه الدار بالذات أين تبلور الوعي الثوري والشعور بالمسؤولية.

فعندما يحرر ' محمد ديب ' هذه النداءات الثورية ويكشف لمواطنية المستغلين من قبل الاستعمار الاستيطان الفرنسي عن الحقيقة الأليمة التي آلت إليها حياتهم ، فإنه لا يتنبأ فحسب بالثورة ،كما قلنا لكن يقودهم إلى الفعل الثوري ويدعوهم لمقاومة المستعمر "(3)

(1) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، المرجع السابق ، ص 133

(2) آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، المرجع السابق ، ص 81

(3) نسيمة يعقوبي ، صورة الثورة الجزائرية في ثلاثية محمد ديب من خلال ' الدار الكبيرة ، الحريق ، النول "

رسالة ماجستير نوقشت في منتوري قسم اللغة العربية وآدابها ، 2001 – 2002 ، ص 115

الأزمنة الداخلية :

الزمن المسرود (زمن الحكاية) والمنحصر فيما بين بداية الرواية خريف 1952 ونهايتها مقدر افتراضيا بعام واحد ، وقد ركز الكاتب على كل فصول السنة محاولا بذلك إبراز معناه سكان دار سبيطار خلال جميع الفترات فمن تقلبات الخريف إلى برد الشتاء إلى حر الصيف . ويمثل برد الشتاء بوصفه " لكن الشتاء ما لبث أن عاد إلى المدينة عودة مفاجئة ، وجعل يحز الهواء بملايين الشفار الحادة ، والثلج هاطل لا محالة في تلمسان متى انخفضت درجة الحرارة في شهر شباط (فبراير) " (1)

و اما وصفه لحر الصيف يتمثل في " كان الحر الشديد ، الذي يصاحبه الجوع دائما يؤرق لياليهم ، غير أن الجوع أشد رهبة من الحر . "(2)

الأزمنة الخارجية :

عاش المؤلف في العقود الثمانية الأخيرة من القرن العشرين ، وكان العالم العربي حينها يعيش أوضاعا مختلفة ، فمن الناحية السياسية كانت الجزائر تحت وطأة الاستعمار أما باقي الأقطار العربية فكانت ما بين وصاية ، حماية ، انتداب ، أما زمن الرواية فكان في الفترة الممتدة بين 1951 و 1952 وكان موضوعها الجوع ، الفقر ، الحرمان مع بصيص من أمل . فأعطى صورة واضحة لحياة الشعب الجزائري في تلك الفترة بالذات بداية للوعي القومي والشعور بالكرامة فترة التهيئة النفسية للمعركة القادمة ، وهذه الثلاثية تصور لنا نماذج حياة أناس من عامة الفقراء وعاداتهم ومتاعب السعي اليومية وراء الرزق حيث يصور مأساة الحياة اليومية والصمت المرتقب وصيحات الأطفال الجياع و رائحة الفقر العفنة أما طريقة الكاتب في عرض تلك الصور فتدفع بالقارئ أن يحب هذا الشعب وأن يشعر بمأساته ونظرته ثاقبة تتغلل في أعماق نفوس أولئك البسطاء لتحكي لنا قصة ولادة الوعي الطبقي والشعور بمأساة الحياة.

(1) نفس المصدر ، ص 29

(2) المصدر السابق ، ص 98

المكان, الفضاء, الحيز كلها دلالات لمعنى واحد ينظر إليه دائما من وجهة جمالية لا من وجهة تقنية فكأنه حلة تتزين الرواية بها, والمكان لا يعيش من عزلا عن باقي عناصر الرواية " وهو مثل هذه العناصر لا يوجد إلا من خلال اللغة فهو فضل لفظي بامتياز " espace verbale" وتختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح, أي عن كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب" (1)

" لكن يختلف وصف المكان من رواية إلى أخرى باختلاف الاتجاهات التي تنتمي إليها ففي الاتجاه التقليدي الواقعي مثلا, يكتسب المكان أهمية كبيرة في بنية السرد الروائي ويحتل صفحات طويلة من بنية الرواية, مؤسسا مع غيره من الأمكنة الموصوفة فضاء الرواية الشامل, غير أن الأمر يختلف بالقياس إلى رواية تيار الوعي الحديثة, التي يقتصر الروائي (الكاتب) فيها على الإشارات الخاطفة والسريعة للمكان الروائي, تلك الإشارات التي يتأسس بها فضاء الرواية الشامل, في مثل هذا النوع من الروايات المهنية المعتمدة على تقنيات التذكر (الارتداد) والمونولوج الداخلي وعلى تداعي المعاني, وما إلى ذلك, أما الرواية الجديدة, التي تنطلق من فوضى العناصر السردية, فإن وصف المكان, يجيء منسجما وتلك الفوضى الفنية والتي تعتمد مثلا "إلى رسم المكان – بالمفهوم الجغرافي- رسما عجائبيا, بالتعمية مع ملامح جغرافية و طمس معالمه وتدمير حدوده, بحيث تغتدي أسماء الأمكنة الجغرافية في الغالب – أي شيء إلا أن تكون مكانا واردا مع مألوف ما نجد عليه أمكنة في الكتابة الروائية ذات البنية السردية التقليدية"(2)

" وسنحاول في هذا المجال رسم ملامح البنية المكانية في روايتنا, عن طريق حصر الأمكنة, ورؤية كيفية تعبير المؤلف عنها, وإبرازه لها, والتعرف على وظائفها ضمن الحركية الدلالية العامة للرواية"(3)

(1) حسن بحراوي, نسبية الشكل الروائي "الفضاء, الزمن, الشخصية", ط1, 1996, المركز الثقافي العربي, بيروت الدار البيضاء, ص27

(2) حميد لحميداني, بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, ط1, آب 1990, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشرو بيروت, الدار البيضاء ص104.

(3) إبراهيم صحراوي, تحليل الخطاب الأدبي, دراسة تطبيقية, ط1, الجزائر,2003, ص202

والمكان ليس له قيمة إلا إذا حصل فيه شيء فالمكان هو الذي يقتضي وجود الشخصيات والأحداث وليس العكس لأنه في (النهاية) الرواية ليس سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور التي سيلزمها الحدث أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المشاركة فيها "(1).

كما أن الفضاء في الرواية ينشا من خلال وجهة نظر متعددة لأنه يعيش على عدة مستويات من طرف الراوي بوصفه كائنا مشخصا وتحليليا أساسيا من خلال اللغة التي يستعملها فكل لها صفات خاصة لتحديد المكان (غرفة, حي, منزل) ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان وفي المقام الأخير من طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة "(2)

في الدار الكبيرة, رسم ديب عامة الشعب, شخصيته, حياته الجماعية في بناية ضخمة أين يرى الجميع, في دار سبيطار أين يعيش عمر ودويه, كانت عالما كبيرا كل شيء مشترك بين الأفراد أو السكان لأن الستائر لم تكن تخفي شيئا حتى المطبخ والحمام والمرحاض كان مشتركا.

" في دار سبيطار, كانت الوحدة مستحيلة, حتى أثناء النوم, ولا حدث في حياة أي ساكن يستطيع أن يمر دون أن يلحظه أو يسمعه الآخرون مثل صوت الماء على الأرضيات, صوت المكانس, صوت قدر الطهي, الفوضى تصبغ المنزل, وتطغى على المكان عصبية الناتجة عن الجوع أو الحرارة تحول أصغر جدال إلى مشادة عنيفة, فهذه عيني التي تلاحق عمر دائما ترفع صوتها تشهد جميع الجيران وكأنها تحس بأن الخصوصية غير موجودة, وكأن أصحاب الدار الكبيرة أصبحوا جمهورا تفرغ أمامه مكنوناتها.

الشجار والسباب والشتائم تحذر سكان الدار من حدة العصبية, وكأن الدار الكبيرة لديها أيضا ميثاق شرف, إنهم يخفون جوعهم بالكذب ويقنعون أنفسهم بأنهم مروا بفترات سعيدة"(3).

إن الحضور الإنساني في المكان يعتبر عاملا أساسيا في مقروئية النص موضوع الفضاء الروائي, فالمسكن مثلا لا يأخذ معناه ودلالاته الشاملة إلا بإدراج صورة عن الساكن الذي يقطنه وإبراز مقدار الانسجام أو التنافر الموجود بينهما والمنعكس على هيئة المكان نفسه وجميع مكوناته.

(1) حسن بحراوي, بنية الشكل الروائي, ص31.
(2) نفس المرجع ص32.
(3) أخظر جاكلين أرنو, الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية, ج1, 1986, ص161.

فضاء دار سبيطار:

في رواية الدار الكبيرة يتناول الكاتب الفضاء عن زاوية أخرى عبر تركيزه على أصغر التفاصيل الموجودة في ذلك المنزل حتى يخيل إليك أنك عشت به وعرفته وتنقلت بين غرفه, إن دار سبيطار كما صورها الكاتب تكاد أن تكون بلدة رحابها الواسعة جدا تجعل من المتعذر على المرء أن يقول ما عدد السكان الذين تأوييهم على وجه الدقة "إنها بيت عتيق كبير موقوف على سكان همهم الأكبر اختصار النفقات واجهة ليس فيها شيء من تناسق تطل على الشارع الضيق الصغير, وبعد الواجهة رواق المدخل وهو رواق عريض مظلم أخفض من الشارع وهو ينعطف حتى يحجب النساء عن أبصار المارة ويتصل الرواق بفناء على الطراز القديم في وسط بركة ماء وفي الداخل تزيينات كبيرة على الجدران قيشاني أزرق ذو أرضية بيضاء وعلى صف من أعمدة من الحجر الأسود تقوم في جهة من الفناء دهاليز الدور الأول "(1).

كما يعرض لنا محمد ديب صورة الدار الكبيرة حيث يريد أن يقنعنا بواقعية النموذج المعروض وفي سبيل هذا الهدف بدل الكاتب كل جهده للبرهنة على قدراته في أن يجعلنا نرى بأكثر ما يمكن من الوضوح إلى كل جدار وباب وممر من هذا البيت ."

المدرسة: ينقلنا محمد ديب في هذا القسم إلى أجواء المدرسة إلى المعلم حسان والكذبة الكبيرة التي كان يدرسها للتلاميذ ومدى صدقها أو عدم صدقها ثم يحدثنا عن كل التساؤلات التي كانت تدور في فكر عمر فالمدرسة كانت المكان الذي يحس به عمر بحريته أكثر .

مصنع النسيج: الذي صارت كل من عويشة ومريم تعملان به وبفضل حصولهما على هذا العمل استطاعتا أن تضيفا القليل من المال لمساعدة والدتهما.

كما أن الكاتب قد أشار إشارة خفيفة إلى الريف في محاولة منه ربط الدار الكبيرة برواته التالية (الحريق).

(1) محمد ديب الدار الكبيرة ص59.

-وصف الأمكنة :

يعد الصف أداة تقنية جمالية يقرب لها القاص المكان من المتلقي وتطويره وبيان جزئياته وأبعاده ، فيرسم صورة بصرية تجعل ادراكه باللغة أمرا ممكنا ، ولقد حاز المكان على قسط وافر من الوصف وفاق لا بكثير وصف الشخصيات ، ومن بين الأمكنة التي عنى فيها الوصف بقدر كبير ، ما ذكره محمد ديب في دار الكبيرة فيصفها بقوله : " تشبه دار سبيطار أن تكون بلدة ، رحابها الواسعة جدا تجعل من المتعذر على المرء أن يقول ما عدد السكان الذين تؤويهم على وجه الدقة حين شق قلب المدينة ، وأقيمت شوارع حديثة ، حجبت العمارات الجديدة وراءها تلك المباني القديمة المبعثرة التي بلغت من تراصها أنها تؤلف قلبا واحدا المدينة القديمة ودار سبيطار الواقعة بين طرف ضيقة صغيرة كأغصان النبات المتعرش ؟....، إنها بيت كبير عتيق ....تطل على الشارع الضيق الصغير ، وبعد الواجهة رواق المدخل وهو رواق عريض مظلم .... يتصل الرواق بفناء في الطراز القديم في وسط بركة ماء ....."(1) ، ونحن نقرأ نحس أننا نتجول في أروقة الدار وهذا دليل مع براعة الكاتب في رسم لوحته المميزة .

- الشارع والطريق :

أما فيما يخص الشوارع والطرقات فقد خصص لها الكاتب مساحة كبيرة في روايته لكثرة الأحداث فيها , ولم يكتفي بوصف مظاهرها وصفا عرضيا فقط بل حاول توضيح ما يحدث فيها وإبراز وضيفتها الحيوية فكان من بين ما ذكره .

" لم يكن عمر يعرف أمكنة لألعابه غير الشارع ، وما كان يمنعه أحد وخاصة أمه ، من أن يهرع إلى الشارع حين يستيقظ من النوم ." (2) وفي مشهد آخر: " ولكنه اجتاز فناء البيت بوثبة واحدة ، ووصل إلى الرواق ليهرب إلى الشارع " فيصور لنا الكاتب أن الشارع هو الملاذ الوحيد الذي يلجأ إليه عمر . ساء عند هروبه من بطش والدته أو ليلعب فيه ." ظل يتسكع في الشوارع إلى أن قدر أن غضب أمة لا بد أن يكون قد هدأ " (3)

(1) المصدر السابق ، ص 20 .

(2) نفس المصدر ، ص 26 .

(3) نفس المصدر ، ص 33 .

و في وصفه للطريق يقول :

" كان يجب أن يحمل إلى البيت قرص الخبز وهو لا يزال ساخنا ، تطقطق قشرته فينتزع منه أثناء الطريق نواتئه الصلبة ، وما تحرق من زواياه ويأخذ يقضمها "

" كانت المدينة لا تزال مزدحمة كخلية نمل ، لكن جميع سكان تلمسان قد تواعدوا على اللقاء في الشوارع ، إن الشوارع تغص بالناس " . (1)

- السوق :

لم يحفل السوق بذكر كثير في الرواية ، ومع ذلك فهو فضاء مهما لأنه السبيل في قضاء حوائج الناس وأعمالهم ومصدر رزق البعض منهم ، فعن السوق يتحدث الكاتب بقوله : " كانت يمينة وهي امرأة قصيرة حلوة القسمات ، تعود من السوق كل صباح بقفة ملآى " . (2)

يقول الكاتب : " ذهبت يمينة بنت سنوسي إلى سوق الغزل تبيع رطلي الصوف اللذين غزلتهما في الليلة البارحة " .(3)

ومن هذا يمكننا القول أنه هناك ثراء نسبي في الأمكنة وتعددها ينعكس على وظائفها ويجعلها متعددة هي الأخرى.

نخلص إذن إلى ان الأمكنة تتجاوز في بعض المواقف وظيفتها الأساسية المتمثلة في كونها إطارا أو ديكورا لتصبح عنصرا مهما من عناصر تطور الحدث.

(1) المصدر السابق ، ص 141

(2) نفس المصدر ، ص 15

(3) نفس المصدر ، ص 61

تعريف الشخصية:

" يختلف مفهوم الشخصية الروائي ، باختلاف الاتجاه الروائي ، الذي يتناول الحديث عنها فهي لدى الواقعيين التقليديين – مثلا – شخصية حقيقة – من لحم ودم – لأنها شخصية تنطلق من إيمانهم العميق بضرورة محاكاة الواقع الانساني المحيط ، بكل ما فيه محاكاة تقوم على المطابقة التامة بين زمني ثنائية السرد / الحكاية . غير أن الأمر يختلف بالقياس إلى الرواية الحديثة ، التي يرى نقادها مثلا أن الشخصية الروائية ما هي سوى كائن من ورق – على حد تعبير رولان بارت - ذلك لأنها شخصية تمتزج في وصفها بالخيال الفني للروائي (الكاتب) وبمخزونه الثقافي ، الذي يسمح له أن يضيف ويحذف ويبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها بشكل يستحيل معه أن نعتبر تللك الشخصية الورقية ، مرآة أو صور حقيقية لشخصية معينة في الواقع الانساني المحيط ، لأنها شخصية من اختراع الروائي فحسب ." (1)

لقد مثلت الشخصية لفترة ليست قصيرة الرواية حتى أصبحت تسمى برواية الشخصية " إذ كانت جودة الرواية تقاس بمدى قدرتها على خلق الشخصيات الروائية فإن قيمتها الجمالية و مصداقيتها الحقيقية تنحصر بصورة جوهرية في قدرة الروائي وإمكانياته في تقديم شخصياته حيادية لا مثقلة بخلفياته ولا أفكاره المباشرة وإنما يتحقق له ذلك بما تحدثه المكونات السردية من صدق في إيحائها وبخفة ومهارة الروائي في عرض عمله الروائي حتى يمتلئ بروح الحياة فتتجسد من خلالها تجليات المجتمع حيث أن الشخصية الروائية يمكن أن تكون مؤشرا دالا على المرحلة الاجتماعية التاريخية التي تعيشها وتعبر عنها ، حيث تكشف عن نظراتها الواعية إلى العالم وهذه النظرة هي أرقى أشكال الوعي لدى الانسان ، لذا فإن الشخصية تعد من المقاييس التي يعتمد عليها في الاعتراف بقدرة الكاتب و جدارته. "(2)

(1) آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، ط1 ، سورية ، دار الحور للنشر والتوزيع ، 1997 ، ص 25

(2) بولجمر فضيلة – هندسة الفضاء في رواية الأمير لواسيني الأعرج ، رسالة ماجستير شعبة تحليل الخطاب

كلية : الآداب واللغات ، جامعة قسنطينة –منتوري– قسم اللغة العربية وآدابها ، 2009 – 2010 ، ص 154

إن الاهتمام بالشخصية باعتبارها عنصرا بنائيا في الرواية لم يكن محض لصدفة وإنما اجتمعت الأسباب الكافية لذلك ، خاصة منها الثورة البرجوازية التي كانت من نتائجها تمجيد الشخصية حتى أصبحت غاية من غاياتها وتتمثل هذه الغاية ضمن الرواية في تجسيد الحياة الانسانية على نحو أعمق وأخصب وكان التشخيص هو محور التجربة الرائية وكانت الغاية الأساسية من إبداع الشخصيات الروائية هي أن تمكننا من فهم السرد ومعايشتهم ، هذا الدور الذي أدته الشخصيات في الأعمال الأدبية جعلنا نهتم بمعالم أفقها في رواية ' الدار الكبيرة ' .

1 – الشخصيات الرئيسية :

- عمر :

هو الشخصية الرئيسية التي تدور حول حياتها أحداث الثلاثية ومن خلال تطور تلك الشخصية وتنامي الوعي لديها يصور لنا من أولئك الذين يختلط بهم عمر أو يعيشون معه ، وبداية القصة بكلمة ' أعطني قطعة خبز ' تهيء القارئ لصورة الجوع الدائم الذي سيصادفه مع جميع أبطال الثلاثية والصراع من أجل لقمة الخبز هذه ، الجوع والبطالة التي تعاني منها طبقات الشعب الجزائري الكادح .(1) ،وفي المدرسة التي يتعلم فيها الفرنسية يحاول مدرسوه أن يحدثوه عن عبقرية وطيبة وحضارة الفرنسيين ، أولئك الحكام الفرنسيين الذين يسلبون منه ومن دويه لقمة الخبز.

وقد بدع ديب في رسم صورة عمر الطفل المشاغب الذي يبشر والدته ثم يتشاجر معها ويحاول أن يتجنب لكماتها وهو ينكمش داخل معطف واسع عليه أو يدور في الغرفة محاولا الهرب من العقوبة . (2)

- عيني :

وهي والدة عمر التي أرهقها الحزن والكفاح من أجل لقمة العيش تقو على عمر وأختيه عويشة ومريم ، فهي حزينة دائما وحياتها لا أمل في تغييرها ولا مخرج لها ، وهي لا تملك سوى ماكينة الخياطة التي تساعدها فقط على شراء الخبز وتقتات العائلة كلها بالخبز ونفايات الخضروات التي يرميها الباعة في المزبلة. وقد استطاع ديب أن يصور عيني ببراعة حيث أن القارئ يستطيع بكل سهولة أن يسمع و يرى صياحها وزجرها لأولادها .

(1) سعاد محمد خضر ، سبق ذكره ، ص 154

(2) عايدة بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ، ت محمد صقر ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 ص 161

هو واحد من سكان دار سبيطار أنه يعي الأوضاع الخطيرة التي آلت إليها الجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي ، حيث يحاول أن يفتح عيون العمال والفلاحين على حقيقة الحياة التي يحيونها حيث يوضح لهم في أول اجتماع سياسي حقيقة مأساتهم ، وهو يقرأ دائما ، ويكن جميع سكان البيت له أعمق الاحترام وبعد مدة تأتي الشرطة لتعتقل حميد سراج وترسله إلى أحد معسكرات الاعتقال في الصحراء ، ويمثل الشخصية النضالية في الرواية .

2 – الشخصيات الثانوية :

- مريم و عويشة :

وهما ابنتا عيني وأختا عمر ، اللتان أصبحتا تساعدان أمهما في العمل خارج البيت في مصنع لصناعة الزرابي للمساهمة في كسب لقمة العيش وتقفان إلى جانب أمهما إذا حدث شجار بينهن وبين جارتهن.

- العجوز 'ماما' :

وهي والدة عيني أي جدة عمر وتحتاج إلى رعاية كبيرة من طرف جميع أبناءها لكنها ظلت عند عيني وهي لا تملك شيئا لرعايتها بسبب الوضعية السيئة التي تعيشها مع أطفالها .

- العمة حسناء :

التي تأتي لزيارتهم كل خميس وتعد عيني يأن تجد لعمر عملا خاصا .

- العمة منصورية :

هاته المرأة التي كثيرا ما يشمئزون منها بسبب الرائحة التي تحملها لأنها لا تتنظف كثيرا وينادونها بابنة العم الصغيرة .

- زينة :

جارة عيني وهي المرأة المقربة من عيني التي تثق فيها وتحبها .

- زهور :

ابنة زهور وهي جارة عمر الجميلة التي تحبه وتتبادل معه أطراف الحديث وتطلب منه في كل مرة أن يصاحبها إلى بني بوبلان أين تقطن أختها وزوجها قارة علي لتقوم بمساعدتها .

- المعلم حسان :

وهو أستاذ عمر الذي ألقى درس الوطن على عمر وزملائه . يعلم من خلال هذا الدرس معنى الوطن ، وبعد حين أخبرهم بصوت خلفت أن فرنسا ليست الوطن الأم وأن الجزائر هي وطنهم.

- يمينة بنت سنوسي :

إحدى جارات عيني وهي امرأة ميسورة الحال تعود كل صباح من السوق بقفة ملآى بأنواع الخضر والفواكه ،وكان عمر يساعدها ويقوم عنها ببعض الأعمال وهي بدورها تكافئه بقطعة خبز مع ثمرة من الفاكهة أو قطعة لحم ومهنتها بيع الصوف .

- عمارية :

ابنة يمينة تعمل في صناعة الزرابي .

- صليحة بنت النجار :

عاملة في مصنع الزرابي .

- مولاي علي :

عامل في السكك الحديدية .

-مصطفى ابن لالا خيرة :

هو ابن عم عيني ، والذي أتى لزيارتها بينما كانت مع ابنها عمر خارج المنزل فيهديها في هذه الزيارة قفة مليئة بأنواع الخضر والفواكه واللحم .

- ادريس بلخوجا :

صبي غني ومتكبر كما يصفه الكاتب يتجمع حوله الصبية ليقوموا بالتقاط ما يسقط ما بين يديه من فتات الخبز والفطائر.

-الصبي صاحب قميص الكاكي :

هو مأساة بعينها حيث يرمز إلى الشخصية التي من خلالها تبرز انسانية عمر ، حيث رغم فقره إلا أنه يحس بالناس ويعطف عليهم .

- منون :

المرأة المريضة التي طردها زوجها .

- فاطمة :

أخت حميد سراج وتعيش معه .

أما طريقة وصف الكاتب للأشخاص فقد برع في تصوير حالة الجوع والفقر الذي تعاني منها شخصيات الرواية ، فهذا ' عمر' الأكثر فاقة وبؤسا ، دائم الجوع ولكنه نجح في ترويض جوعه وعاش معه كرفيق له. ويضيف عيني فهي الشخص الذي كان على نزاع في إطعام الأطفال رغم أنها كانت تعمل ليل ونهار إلا أنها لم تكن قادرة على تقديم سوى الحد الأدنى ، فقد كانت تلجأ إلى كافة الوسائل بغية إيجاد حل لمشكلة الغذاء ، فنراها تضع ملح الحساء حتى تجعل أطفالها يشربون أكثر قدر من الماء حتى تنتفخ بطونهم فيسكن جوعهم ، ويمثل وصف لحالة الفقر الذي تعانيه العائلة . " وقد هيمنت ' عيني ' على الدار الكبيرة وقد تفوقت على الشخصيات المذكورة في الرواية حتى أن الوطني حميد سراج كان محجوبا بعض الشيء نتيجة سيطرة الشخصيات النسائية في دار سبيطار ."(1)

كان يمثل عمر حدس الحرية ، الثورة والوعي ، لأن هذا الولد الصغير الشعبي لديه تفكير بريء وفي نفس الوقت منطقي استمده من مروره بالمدرسة الفرنسية ، وقد توضح جيدا في الدار الكبيرة ، حيث لم يكن يقبل الوجود كما هو ، كان يبحث عن شيء آخر ، لقد كان يعاني ليس لأنه مجرد طفل لكن بسبب كرهه لهذا العالم ، وقد كان صبي متقدم على دويه رغم صغر سنه ، الدار الكبيرة لم تكن له سوى ملجأ بل سجن كان يرفض أن يساق من طرف أترابه ، وكان يحقد على تلاميذ المدرسة الأغنياء الذين لا يشاركون غيرهم ، لا يريد أن يتسول لديهم لأن لديه كرامة .

وفي مشهد نرى فيه شخصية عمر يجري وقطعة خبز في يده ، ثم يتركها تسقط أمام طفل أكثر بؤسا منه ، والذي لم يكن يتجرأ أن يمنحه إياها مفضلا أن يجدها بنفسه .

أما المرأة في نتاج ديب لها مكان خاص فهو يحبها ويحترمها ويأسى لمصيرها ولآلامها ،وقد قدم لنا ديب في بيته الكبير نماذج مختلفة من النساء لا تتكرر ولا تتشابه ، ويمثلن جميعا مختلف النماذج في المجتمع النسائي الجزائري وهن صورة صادقة للعادات والتقاليد التي تقيد المرأة في ذلك المجتمع وصورة حقيقية لما يعتمل في نفوسهن من آمال ، وكل منهن لها صفاتها الخاصة التي تميزها عن غيرها وكل منهن تختلف نظرتها ومفاهيمها إلى الحياة ، ومع ذلك فالمصير الذي ينتظرهن واحد مصير المرأة في المجتمع الشرقي الزواج والخضوع لاستبداد الزوج ثم الكدح المتواصل حتى الموت ، فهذه عيني وزينة وزهور وعويشة ومريم وحسنة ومنصورية .. نساء من الريف ومن المدينة ورغم اختلافهن فإنهن جميعا يتميزن بالاستسلام لذلك القدر المكتوب والرضا بالواقع وعدم التمرد مع ذلك الواقع بل قبوله كأنه شيء لا مفر منه.

(1) عايدة بامية ، المرجع السابق ، ص 214 .

وحالة ' منون ' هاته المرأة المريضة التي طردها زوجها وأرسلها إلى أمها في دار سبيطار وظلت تنتابها حالات هيستيرية في كل مرة تخرج إلى وسط الدار وتلقي بأشعارها كلها ،ترمز إلى غد مشرق للجزائر وترمز إلى الحرية

وأيضا في إشارة من الكاتب إلى أن المرأة ترمز إلى الحب والحرية ، والمرأة التي تحدث عنها الكاتب هي الأم فلم يتحدث عن الرومانسية أو بعض الصور المتحابة بين الزوجين ، وهذا يعود إلى الظروف التي تعيشها البلاد في تلك الفترة والعقلية السائدة ، إذ يعكس الصورة الثقافية والاجتماعية والدينية إذ لم يصف مشكلات المرأة الذاتية ولا يستطيع أن يفعل ذلك لأن المرأة الجزائرية في ذلك الوقت لم ترقى بعد إلى المكانة التي تجعل منها عضوا فعالا في المجتمع السياسي التاريخي بل حاول ديب أن يعكس لنا صورة المرأة في ظل المجتمع المحافظ بصورة واقعية ، إذن فالشخصية في الرواية تمثل العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية فهي الدليل المحسوس وجود الرواية والتي يمكن قراءتها وتتبعها من خلال شخصياتها التي تسير الرواية فبدون الشخصيات لا تتم الرواية فالكاتب يركز مع الشخصية منذ بداية الرواية لأنها تمثل العنصر الفني المهم حيث تظل تسيطر مع الرؤية الداخلية .

*** اللغة:**

اللغة هي التفكير, هي التخيل, بل لعلها المعرفة نفسها بل هي الحياة نفسها.

إذ لا يعقل أن يفكر المرء خارج إطار اللغة, فهو لا يفكر إذن إلا داخلها أو بواسطتها فهي التي تتيح له أن يعبر عن أفكاره فيبلغ ما في نفسه ويعبر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه...الحب دون لغة يكون بهيميا و الإنسان دون لغة يستحيل إلى لا كائن...إلى لا شيء"(1)! فاللغة عظيمة الشأن رفيعة القدر كريمة المكانة عالية القيمة لدى كل أمة لأنها هي مضطرب تاريخها وحضارتها وجذاب رقيها وانحطاطها ومن أجل ذلك يجب أن نعير أهمية بالغة للغة الإبداع على أساس أنها هي مادة هذا الإبداع وجماله ومرآة خياله فلا خيال إلا باللغة, ولا جمال إلا باللغة ولا صلاة إلا بلغة ولا حب إلا بلغة ولا حضارة إذن إلا باللغة فهل بعد كل هذا يمكن أن نذبَح كتابة أو نكتب أدبا أو نقرأه خارج اللغة؟"(2)

إذا كانت الشخصية هي التي تنهض بالحدث أو يقع عليها الحدث أو حولها حين تضطرب في الحيز أو تقيلها الحيز أو حين تسير في نوء الزمان فيبليها بعد جدة وينفيها بعد حياة ثم يقع الصمت من حول اللغة التي يجب ان تخاطب بها كيف يجب أن تكون؟ لأنها الدليل الملموس على أن ثمة رواية ما يمكن قراءتها وفي هذا الصدد يجب أن نشير إلى أن محمد ديب في كتاباته وفي "الدار الكبيرة" موضوع الدراسة قد استعار اللسان الفرنسي للإفصاح عن خلجات القلب العربي الجزائري وصبرات الإرادة العربية الجزائرية, وليس يعزيه عن هذا أن يكون قابضا على ناصية هذه اللغة الفرنسية وأنها بين يديه طيعة

إن محمد ديب لا يلفق قصة تسلى بقراءتها الرافلون انه يغمس ريشته, ريشة الرسام الصادق في الدم والعرق والعذاب والجنون والحكمة والتمرد والمرض والتناقض والثورة برؤية شاعر ولذلك خرجت لنا لغته سلسلة, جميلة, سهلة صعبة مشدودة ومرنة

(1) عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية ص157
(2) نفس المرجع ص111

*الحدث:

" نصل إلى العنصر الأخير من عناصر الرواية البارزة فنقول: إن الحدث هو ركيزة العناصر الفنية السابقة (الزمان, المكان, الشخصيات, اللغة) والحدث الروائي ليس تماما كالحدث الواقعي, وإن انطلقت أساسا من الواقع ذلك لأن الروائي (الكاتب) حين يكتب روايته يختار من الأحداث الحياتية ما يراه مناسبا لكتابة روايته, كما أن ينتقي ويحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني, ما يجعل من الحدث الروائي, شيئا آخر, لا نجد له, في واقعنا المعيش, حدثا طبق الأصل"(1)

من هنا نرى محمد ديب يقدم مشهدا مثيرا في "الدار الكبيرة" لعملية الاعتقال والتفتيش بجميع ترتيباتها, ويرسم ببراعة ما يقاسيه الناس من جراء كل ذلك, وما يصحب هذه العملية من صخب وعنف, وخشونة..." وعندئد قامت في البيت كله ضجة مقلقة. إذن هدا النحيب الذي يعبر عن الكره والغضب يؤدن بالشقاء الذي هجم على دار سبيطار واقتحمها بخطى واسعة"(2)

"وان رجال الشرطة ينبشون الأوراق التي كان حميد سراج قد جمعها عند أخته, كانوا يجمعون هذه الأوراق, ومن أجل ذلك قلبوا الغرفة عاليها سافلها"(3) وأية هذا فإن محمد ديب يريد أن يوسع دائرة الأحداث, ويخبر القارئ بأن ما يجري في تلمسان يجري في الجزائر كلها, ودار سبيطار تتطور أحداثها باستمرار فنجدها مليئة بالمفاجئات والوقائع فمثلا: حول عيني جارات كثيرات مثلا تعاني الفقر والجوع, فمعظمهن أرملات مثل يمينة, وزينة وزليخة والأخريات, مشاكلهن عديدة: بنت للزواج كزهور, أخو فاطمة يعمل في السياسة, منون مريضة تحس دائما بقدوم الموت, عتيقة تنتابها حالات هستيرية, أما العجائز كالجدة (ماما) أم عيني أو العجوز منصورية وابنة العم حسنة, التي تأتي لزيارتهم بين الحين والآخر, لا ينتظرون شيئا من الدنيا سوى انتظار نهاية حياتهم (الموت).

(1) آمنة يوسف, تقنيات السرد في النظرية والتطبيق, المرجع السابق, ص27
(2) المصدر نفسه ص33
(3) المصدر نفسه

وأسلوب ديب أسلوب شاعري جميل مليء بالصور الموحية المعبرة وهو قد نجح تماما في اختيار الكلمات التي تستطيع أن تعبر بصدق عن الأفكار التي يقدمها و (قد كان أسلوبه فني) كما أنه أسلوب سلس بسيط و الكلمات والصور معبرة بصدق عن قوة الموقف والفكرة معا "(1)

" ومع التجريد في أسلوب رواية الدار الكبيرة, نلاحظ غياب أي فقرات وصفية والاعتماد الكبير على المحادثة حيث يميل الأسلوب إلى الإحكام والعمق"(2)

***المغزى:**

والآن لنا أن نسأل عن المغزى الذي أراد المؤلف تبليغه لقرائه أي جوهر مضمون الرواية الثلاثية ككل تعتبر بمثابة تشخيص للجزائر ذاتها وأن "عمر" يشكل العنصر الموحد بين الأجزاء الثلاثة ذلك أنه عندما ينتقل من كتاب إلى كتاب آخر يعكس صور يقظة الجزائر ومعاناته وشكل الرواية يأخذ الصيغة المعروفة "شريحة الحياة"

فتحكي رواية الدار الكبيرة قصة أسرة جزائرية فقيرة تجاهد بمشقة وصعوبة لتكسب قوتها ولكنها لا تنجح إلا نادرا في سد رمق أفرادها ومن خلال هذه الأسرة تروي قصة كل أسرة جزائرية فقيرة بائسة ويعتبر الصراع ضد الفقر موضوع الكتاب والفشل المستمر يمثل الأحداث التي تسير الرواية.

(1)- سعاد محمد خضر, الأدب الجزائري المعاصر دراسة أدبية, منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1968 نقدية ص17

(2)- عايدة أديب بامية, تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) تـ: محمد صقر الجزائر, ديوان المطبوعات الجامعية, 1982 ص251

- الخاتمـــــــة :

إن هذه الخاتمة ليست خاتمة لهذا البحث بقدر ما هي مجرد بداية متواضعة فبكل تأكيد و على الرغم من المجودات المبذولة للإلمام بجميع جوانب إشكاليتنا المطروحة ، فما يزال الموضوع بدون أدنى شك يحتاج إلى إضافات وإيضاحات كبيرة ، ولكن على الرغم من ذلك أسمح لنفسي ببعض الاستنتاجات التي أراها طبيعية .

إذا كانت الأشكال الروائية المطروحة سواء على صعيد المضامين أو الناحية الجمالية للرواية فنجد مبرراتها في التاريخ الجزائري والسياسي خاصة ، فالواقعية التي صورها محمد ديب في تلك الفترة تدل على أنه ذو ثقافة انسانية واسعة وهذه الأعمال الأدبية الرائعة في ظل هذا الزحم الثوري الذي خلفته كتاباته ، استطاع ديب ضمن منطق ظروفه الخاصة منها والعامة أن يضيف الكثير إلى الساحة الأدبية الفقيرة في الجزائر وأن يبدع ويطور في هذا الاتجاه نحو أكثر الأشكال تأثيرا على الجماهير التي يكتب من أجلها .

و الملاحظة الثانية مرتبطة بالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية فمقابل هذا التراكم الكمي للرواية العربية نلاحظ أن فترة الخمسينيات والستينيات أنجبت تجارب روائية جد متقدمة مثل : مالك حداد ، كاتب ياسين ، مولود معمري ، مولود فرعون ، و محمد ديب .

فالرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي ستظل تمارس حضورها الإيجابي في النوعية الجماهيرية ، ودورها الحضاري التاريخي ، ونلاحظ أن هذه الرواية بالتحديد تمثل الدروة الفنية والعالمية التي وصلت إليها من خلال أعمال ديب الذي أسمع العالم من خلالها بمظالم فرنسا وكل الأعمال الشنيعة التي تستعملها لتعذيب الشعب الجزائري وأعطت الصورة الحقيقية وعكست الواقع المعيش يوميا من خلال الثلاثية التي ترجمت إلى مختلف لغات العالم لأفاقها الواسعة ، تظل هذه الثلاثية خالدة خلود هذا الشعب المناضل بشكل أوسع على صعيد الواقع الاجتماعي أو على صعيد التفتح على الثقافات الانسانية.

كل هدف هذا البحث هو محاولة تسليط الضوء على فترة تعتبر من أخصب وأروع فترات التاريخ الجزائري الحديث الذي كتبت فيه الثلاثية ووجدت أحداثها فيه من 1939 إلى 1942 وقد حاولت قدر المستطاع أن أدرس الدار الكبيرة الحبلى بالأحداث والمضامين والأشخاص دراسة موضوعية معمقة من الناحية الثورية وذلك لألقي الضوء على جانب هام من جوانب جهاد الشعب الجزائري ضد الاحتلال الأجنبي ، وأبرز أهم صور البؤس والشقاء والحرمان من كل معاني الحياة ، وكانت الثلاثية تتنبأ بالثورة وعمر هو عنصر الشباب وهو الذي سيقود المشعل ليثور ضد الظلم والطغيان .

الفهـرس

مقدمـــة ص01

الفصل الأول

أولا :

لمحة تاريخية حول وضعية الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي .

أ – الجوانب السياسية ص08

ب – الجوانب الاقتصادية ص15

ج – الجوانب الاجتماعية ص17

د – الجوانب الاجتماعية ص24

ثانيا :

أثر هذه الجوانب في الاتصال بين الأدبين الجزائري والفرنسي ص30

الفصل الثاني

الرواية الجزائرية بعد قيام الثورة ص34

أ – ظهورها ومؤثراتها وعلاقتها مع الرواية الفرنسية ص35

ب – أبرز رواد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي ص38

ج – عوامل ظهور الرواية الفرنسية الجديدة ص52

د – أعلام الرواية الفرنسية ص58

ه – ارتباط الرواية الجزائرية بالمقاومة ص61

الفصل الثالث

نبذة حول حياة الكاتب ص67

أهم مؤلفاته ص70

تلخيص مضمون رواية الدار الكبيرة ص72

دراسة البنية الفنية للرواية وقراءة في :

- الزمن ص79

- المكان ص84

- الشخصيات ص89

- اللغة ص95

- الحدث ص96

- المغزى ص97

الخاتمـــــــــــة ص98

الفهرس ص99

قائمة المصادر والمراجع.....ص101

قائمة المصادر والمراجع

1 – المصدر :

1 – المصدر المترجم إلى العربية محمد ديب الدار الكبيرة ، ترجمة سامي الدروبي ، روايات الهلال ، القاهرة .

2 – المرجع :

1 – أبو القاسم سعد الله ،دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2 ، الجزائر، منشورات دار الآداب ، يناير 1977 .

2 – ابراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية) ، ط2 ، الجزائر، دار الآفاق 2003 .

3 – أحمد سيد محمد ، الرواية الانسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ، نجيب محفوظ) ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989 .

4 – آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، ط1 ، سوريا ، دار الحوار للنشر والتوزيع ،1977 .

5 – جاكلين أورنو، الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية ، ج1 ، 1986 .

6 – جورج لوكاتش ، الرواية ، ترجمة مرزاق بقطاش ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع عدد 9 ، المكتبة الشعبية .

7 –حميد الحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ط1،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الدار البيضاء ، آب 1991 .

8 –حنفاوي بعلي ، أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية . الجزائر ، دار العرب للنشر والتوزيع ، 2004 .

9 – حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (فضاء زمان شخصية) ، ط1 ، المركز الثقافي العربي . بيروت ، الدار البيضاء ، 1990 .

10 – يوسف الأطرش ، المنظور الروائي عند محمد ديب ، الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، 2004 .

11 – محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا الكويت ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1992 .

12 – محمد الطمار ، الرواية الثقافية بين الجزائر والخارج ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983 .

13 – محمد قنانش ، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1975 .

14 – ناهد ابراهيم الدسوقي ، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1918 – 1939 منشآت المعارف بالإسكندرية ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، 2001 .

15 – سامية أحمد أسعد ، في الأدب الفرنسي المعاصر ، القاهرة مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1976 .

16 – عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925 – 1967 ترجمة الدكتور محمد صقر ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية .

17 – عبد الكريم الخطيبي ، فن الكتابة والتجربة ، ترجمة محمد برادة ، ط1 ، بيروت دار العودة ، 1980 .

18 – عبد الكريم بوصفصاف ، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف (1954 – 1962) ، قسنطينة ، دار البعث للطباعة والنشر، 1998 .

19 – عبد الملك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 1954 الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1969 .

20 – عبد الملك ، مرتاض في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، الكويت ، عالم المعرفة ديسمبر 1998 .

21 – عبد الملك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 .

*** مجلات ورسائل :**

1 –بولجمر فضيلة ، هندسة الفضاء في رواية الأمير واسيني الأعرج ، رسالة ماجستير، شعبة تحليل الخطاب ، كلية الآداب واللغات ، قسنطينة ، قسم اللغة العربية وآدابها 2009 – 2010 .

2 - نسيمة يعقوبي،" صورة الثورة الجزائرية في ثلاثية محمد ديب من خلال (الدار الكبيرة الحريق ، النول) "،رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث ، كلية الآداب واللغات جامعة منتوري قسنطينة 2001 - 2003 .

3– رشيد قريبع،الرواية الجديدة في الأدبين الفرنسي والمغاربي ، رسالة دكتوراه في الأدب المقارن (قسم اللغة العربية وآدابها) ، جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة 2002 – 2003 .

4– رشيد قريبع ، الرواية الجديدة في الأدبين الفرنسي والمغاربي – نظرة مقارنة – مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 21 ، جوان 2004 قسنطينة .

*** معاجم :**

1 – جمال الدين بن الشيخ ، معجم آداب اللغة العربية والأدب الفرانكفوني المغاربي ، ترجمة مصباح الصمد ، ط1 ، بيروت ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2008 .

*** الشبكة العنكبوتية :**

1 – ألبير كامو . ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، 2011/01/25 على الساعة 14:30 .

(http// at . Wikipédia. Org/wik)

2– فرجينيا وولف . ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، 2010/01/12 على الساعة 10:30

(http// at . Wikipédia. Org/wik)

الفصل الثاني